باسم فضل الشعبي

حياتي في قلب الحدث

الحراك السلمي من الثورة إلى الدولة

الكتاب من إصدار:
مركز مسارات للاستراتيجيا والاعلام
Masarat Center for Strategy & Media

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا
وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ ١٢٠ سورة آل عمران

باسم فضل الشعبي

حياتي في قلب الحدث

الحراك السلمي من الثورة إلى الدولة

إهداء

إلى روح والدي الذي فارقني منذ كنت طفلا صغيرا ،الى امي و زوجتي واطفالي الاربعة، إلى كل الزملاء والأصدقاء الذين وقفوا معي خلال مسيرتي العلمية والمهنية والعملية مشجعين وداعمين، إلى كل من كان له الفضل في أن يرى هذا الكتاب النور.

الفهرس

المقدمة ٦
تمهيد ٨

الفصل الاول: (الصحافة والثورة) ١١
بداية الحلم.. أول المشوار ١٢
الخدمة الوطنية ١٤
الجامعة.. مرحلة جديدة ١٦
السفرة الأولى إلى مصر ٢١
مشروع التخرج «فتاة الجزيرة» ٢٣
صنعاء.. مساحة إضافية للحلم ٢٥
ثورة الحراك السلمي الجنوبي ٢٨
في الأردن وسوريا ٣١
العودة من دمشق إلى صنعاء ٣٥
العودة من الحدث إلى قلب الحدث ٣٧
مرحلة ثورة الشباب الشعبية ٤١
مرحلة هادي ٤٨

الفصل الثاني: (سنوات الحرب الصعبة) ٥١
الهروب الكبير ٥٢
عدن بعد التحرير.. في قلب أحداث جديدة ٥٨
بيروت أجمل المدن ٦٣
العودة إلى عدن.. احتجازي في المطار ٦٨
إلى بيت الله تهفو القلوب ٧٠
العمل الإنساني والمظاهرات والسجن ٧٩
الحرب على الشرعية ٨٢
الحراك في الدولة وإلى الدولة ٨٥

■ الفصل الثالث: (مقالات مختارة).. ٩١
الصراع بين الحرية والاستبداد.. هل يمكن اعتبار الديمقراطية الأمريكية
في المنطقة كذبة كبرى؟.. ٩٢
التغيير الممنوع في اليمن.. ٩٦
التغيير من بوابة الثقافة.. ٩٨
هل كان الجنوب بحاجة إلى الحرب لينتصر؟ ٢٠١
لن نكون بديلاً لــ «الأيام»... ٥٠١
مع السلام الذي يقطع دابر الحروب.. ١٠٧
الاقتصاد المحرك الأساسي للحياة ١٠٩
الحل المطلوب في اليمن.. مع من يتفاوض الجنوب؟...................... ١١١
العسكرة قبل التعليم.. من مشروع الحياة إلى مشروع الموت............. ١١٣
العدالة وحفظ حياة الناس.. ١١٥
ما بين التسوية والهيمنة ١١٧
لا دولة بدون قوانين وأجهزة رقابة ١٢٠
الفساد الحاكم ١٢٢

المقدمة

في البداية أشكر أخي وصديقي ورفيقي باسم فضل الشعبي، على أن شرفني واختارني لكتابة مقدمة لكتابه المميز والهام (حياتي في قلب الحدث.. الحراك السلمي من الثورة إلى الدولة)، وهو في الحقيقة كتاب يستحق القراءة والاطلاع من قبل الجميع، لاسيما الجيل الجديد الذي يعول عليه مواصلة المشوار في درب النضال من أجل الحرية والعدالة والبناء لشعبنا وبلدنا.

وفي الواقع فإن تجربة صديقنا ورفيقنا باسم الشعبي في العمل الصحفي والإعلامي وفي الثورة والسياسة تستحق أن تروى أيضاً وأن تتحول إلى حالة إلهام يستمد منها شبابنا الطموح وجرأة الحلم وقوة الإيمان بالأهداف التي لا تتزعزع والصبر في سبيل تحقيقها، ولا ننسى الإشارة أيضاً إلى قصة مؤلف الكتاب مع الإلهام ومع الله الذي هو مصدر الإلهام والطاقات الروحية الجبارة، التي لطالما استطاع من آمن بها أن يحدث التغيير على الصعيدين الشخصي والعام، إذ لم تكن الثورة في الجنوب واليمن عموماً عند باسم الشعبي مجرد صدفة أو حدث عابر، بل هي حلم حقيقي مسنود بإرادة ربانية تتجلى في الإلهام والطاقة الروحية الإيجابية التي شكلت هذا الحلم وحولته إلى حقيقة واقعية في الميدان، حقق منذ ميلاده الكثير من المكاسب للجنوب بفعل التضحيات الكبيرة التي بذلها شعبنا المؤمن والصادق.

تعرفت على الرفيق باسم الشعبي منذ وقت مبكر وتحديداً منذ البواكير الأولى لثورة الحراك السلمي، وقد عرفت فيه صدقه وإيمانه بالأهداف النبيلة التي يؤمن بها وحماسه الكبير ومبادراته التي لا تنقطع في خدمة الناس والمجتمع والبلد.. كنا نفترق أوقاتاً طويلة ثم نلتقي لنتحدث ونطمئن على بعض، لكن في السنوات الأخيرة صار تواصلنا مستمراً وعملنا مشتركاً، ومن خلال المعايشة والتجربة المشتركة تجلى باسم في قمة إبداعاته الإعلامية والسياسية، لنكتشف أننا لسنا أمام صحفي وإعلامي مخضرم ومبدع فحسب، وإنما أمام رجل سياسه أيضاً ينتظره مستقبل كبير.

ما يميز شخصية الرفيق باسم أيضاً الجدية والصرامة والانفتاح على الآخر والقبول به، والسرعة المطلقة في الإنجاز المتقن لكل الأعمال

والمشروعات التي تسند إليه دون تذمر أو أعذار، وهذا ما يجعله حاضراً باستمرار في قلب الحدث، ويمثل مكسباً كبيراً لقضيتنا ونضالنا في الجنوب.

يقدم باسم في هذا الكتاب الرائع خلاصة تجربته خلال الثلاثة العقود الماضية في حقل الصحافة والثورة وميدان السياسة، ويحكي عن رحلاته إلى خارج البلد بأسلوب سلس وشيق، وعن علاقاته وصدقاته المتنوعة التي لطالما أكسبته حضوراً وتفرداً في ميدان عمله ونشاطه المثمر، والذي لم ينقطع أو يخمد حتى وهو في أحلك الظروف والمصاعب والمتاعب التي واجهها.

وأخيراً.. أشعر بسعادة بالغة وأنا أقدم لهذا الكتاب المهم والثري، واثقاً بأن تتحول الأفكار والتجارب والنجاحات الواردة فيه إلى مصدر إلهام وقوة لمن يتطلع إلى تحقيق أحلامه وتطلعاته، متحديا الواقع وصعوباته بالإيمان والصمود والصبر واليقين التام.

أ.عبدالرؤوف زين السقاف

عضو هيئة رئاسة المجلس الانتقالي

تمهيد

عندما تكون مؤمنا بالله إيمانا مطلقا، ومؤمنا بنفسك إيمانا حقيقيا، فإنه لن يستطيع أحد هزيمتك، مهما كان مكر خصومك أو كيدهم أو قوتهم، ومهما كانت الوسائل القذرة التي يستخدمونها.. تذكر دوما أن هناك من هو أقوى فتمسك به في كل الظروف والأحوال.

حينما يعجز خصومك عن مواجهتك في ميدان الحياة والسياسة، فتأكد أنهم سيلجأون إلى وسائل قذرة ولا أخلاقية في محاولة لإيقافك وإعاقتك وربما قتلك، لكنهم سيفشلون وسيهزمون أمام صمودك وقوتك التي هي من قوة الله. إذا كنت من هؤلاء فتأكد أنك صاحب رسالة عظيمة في الحياة تتحرك وتنتشر بإرادة الله، وتصمد وتنتصر بقوة الله، وتأكد أنك لست وحيدا تصارع في هذه الحياة، فالخيرون والمصلحون أمثالك موجودون في كل مكان «ولله جنود السماوات والأرض».

يقدم هذا الكتاب سيرة موجزة لصاحبه حفت بالمخاطر والمتاعب والأهوال، كما يقدم سيرة مختصرة لمحطات كثيرة مر بها البلد منذ ثلاثة عقود وحتى اليوم، عايشها المؤلف وكان مشاركا فيها وقريبا منها.

إن فقدان الأب واليتم المبكر يترك في داخلك فراغا يتسع كل يوم ولا يستطيع أحد ملؤه، إذ توفي والدي بينما كنت في السنة الثانية من العمر، وهو ما جعلني أقول في أحايين كثيرة إنه لو كان والدي موجودا بجانبي لما عانيت كل هذه المعاناة ولما تجرعت كل هذه المتاعب منذ سن مبكرة، فكيف لشخص مثلي وجد نفسه منذ أن كان طفلا صغيرا في قلب الحدث تحيط به المخاطر من كل مكان وتقف أمامه التحديات عند كل خطوة يخطوها، وكأن الحلم الذي وهبه الله حرام والطموح الساكن في داخله بغير إرادته جريمة تستحق العقاب.

ولدت في أسرة فقيرة ومحافظة، تعشق الأدب والثقافة والسياسة، إذ كان عمي «محفوظ» أديبا وشاعرا، وكان عمي الآخر «عبود» كاتبا صحفيا في صحيفة «صوت العمال» ثم صحيفة «الأيام». كانت دروس التعبير والبلاغة في اللغة العربية في المرحلة الإعدادية والثانوية تستهويني كثيرا، وكان أعمامي يشجعونني على الاهتمام بها ويساعدونني على إنجاز واجباتها المدرسية، على أمل أن تتولد لدي ملكة الكتابة فيما

بعد وأصبح قادرا على الكتابة والتعبير بمفردي.. وهكذا وبعد فترة قصيرة بدأت اعتمد على نفسي في كتابة التعابير وكنت أحصل على الإطراء والتشجيع من أساتذتي في المدرسة ومن أعمامي في البيت، إلى جانب ذلك كنت قد دربت نفسي على القراءة في الصحف والمجلات وكل ما يقع بيدي شغفا وفضولا في المعرفة والاطلاع.

ولأن عمي الشاعر «محفوظ» رحمة الله عليه، كان كفيفا فقد كان يطلب مني أن أشرح له ما قرأت أو أقرأ عليه ما يقع بيدي من صحف ومجلات وكتب، ثم يدور فيما بيننا النقاش، من هنا تولدت لدي الرغبة في القراءة والكتابة حتى صرت ما أنا عليه صحفيا وكاتبا معروفا ومؤلفا لكتابين، والمجال ما يزال متاحا لإضافة المزيد.

ولا أنسى أمي التي كابدت الحياة من أجلي، ووقفت بجانبي وتفرغت لتربيتي رافضة فكرة الارتباط بعد وفاة والدي، كما لا أنسى أجدادي، رحمة الله عليهم، الذين وهبوني العطف والحنان والدعم وشاركوني رغباتي واهتماماتي وطموحاتي بالكثير من الفخر والكثير من القلق والخوف على حياتي.

إن الحياة مدرسة لمن يريد أن يتعلم، وأن التجارب التي نمر بها سواء أكانت الناجحة أو الفاشلة هي عبر ودروس علينا أن نستفيد منها ونستخلص ما يصلح لتقويم المسار وتعبيد الطريق لتحقيق الأهداف والتطلعات والأحلام الجميلة التي تعود بالنفع على الجميع.

إن تأخر الوصول إلى الهدف لا يعني نهاية العالم، لكن علينا أن نستمر في العمل بكل الوسائل المتاحة للوصول إليه في يوم ما.. كن صبورا في كل الأحوال والظروف، فما يعانيه أصحاب الأهداف العظيمة من المتاعب والأكاذيب والافتراءات والأهوال لا يكاد يحتمل، لكن ينبغي أن لا يدفعنا ذلك للاستسلام أو الانسحاب من المعركة، علينا مواصلة المعركة حتى النهاية بكل الحماس وكل الشغف.. هذا ما يقدمه كتابي للقراء من خلال تجربتي في الحياة وميدان العمل والسياسة، وهي تجربة اعتز بها كثيرا وأتمنى أن تمثل مصدرا لإلهام كل من يكابد الحياة ويتحمل الأذى والمتاعب كي يصل إلى قمة النجاح في نهاية المطاف.

المؤلف

الفصل الاول

(الصحافة والثورة)

بداية الحلم.. أول المشوار

قبل الجامعة حينما كنا في الإعدادية والثانوية في القرية، كنا نحلم بالثورة، كنا نرى أن التغيير في البلد لن يأتي إلا بثورة، لكننا كنا نخشى الثورة المسلحة التي كنا نرى أنها ستكون نتائجها وخيمة على الشعب والبلد. كان الخيال يأخذنا في عملية عصف ذهني كبيرة ورهيبة لإنتاج مشروع جديد للتغيير، مشروع شعبي سلمي، بدأ هذا الأمر منذ وقت مبكر، إذ كنت حينها ما زلت طفلا، ولم أكن أدرك أو أفهم ما كان يأتيني من السماء.

ولأننا كنا نعيش في الريف، فإن الأفكار كانت تأتي من السماء بما يشبه الوحي أو الإلهام بأن هناك مشروعا قادما وزلزالا كبيرا سيحدث في اليمن. بدأت أعي ذلك تماما بين الأعوام ٩٤ و ٩٧، حيث زادت حالة التخاطر القادمة من أعلى، كنت أذهب مكانا بعيدا عن الناس للجلوس وحيدا للتفكير والتأمل في شعاب وقفار القرية، شيء من السماء كان يتدفق إلى رأسي، صور مسيرات سلمية وحشود تأتي من السماء وتقتحمني عنوة.. كنت أشعر بالقلق والخوف في البداية، وكنت أشاهد ذلك على عائلتي أيضا، ثم مع مرور الوقت شعرت بالأمان وأيقنت بأن ما يأتي هو من الله، الله يريد التغيير في الأرض، يريد محاربة الظلم والاستبداد والاستعباد. أخذت الأمر بجدية وبنوع من المغامرة، وكلما بدأت أكبر كَبُرت هذه الأشياء معي (الصور التي تأتي من اعلى، والتخاطر الذي يأتي من نافذة تتجلى في السماء أيضا).

ولأن الجنوب وقع تحت احتلال عسكري غاشم بعد حرب صيف ٩٤ الظالمة، فإن ما كان يأتيني من السماء هو بمثابة صور وحشود شعبية تحمل أعلام ورايات الجنوب، وتتحرك على الارض في عدن وردفان وغيرها. كنت مرصودا على الدوام ممن حولي، كنت صغيرا في الرابعة عشرة آنذاك، وفي عدن التي كنت أزورها أثناء العطلة الصيفية للجلوس عند أقاربي، كنت أتلقى سيلا من تلك الصور والمشاهد التي تهبط من السماء إلى راسي ، سواء أكنت في البيت أو خارجه (في الشارع أو في ملعب الكرة أو السوق)، لم أكن أستطيع التحكم بذلك، كانت الناس تقرأ أفكاري وترصدني بصورة مباشرة، منهم من يتنبأ لي بمستقبل كبير بود ومحبة، ومنهم من يرمقني بنظرات خوف وقلق وحسد وغيرة.

تعرضت في ذلك العام (٩٤) لأذى كبير في عدن من قبل أجهزة أمن ومخابرات، كما فهمت وأيقنت لاحقا، أرادوا لطفل صغير مثلي يومها الدمار والخراب لأنه يحلم، ولأنه تأتيه صور مشاهد وحالة تخاطر من السماء تبشر بثورة قادمة في الجنوب. أرادوا لذلك الأذى أن يستمر معي كلما تقدمت في العمر، والهدف من ذلك التشويه والتدمير لوقف وإخماد المشروع الذي نفكر ونحلم به، لكنهم فشلوا.. فكلما كبرت كَبرُت الأفكار واتسعت وانتشرت، وكبر الحلم إلى أن وقعت الثورة بعد سنوات طويلة من ذلك الوقت.

* * *

الخدمة الوطنية

بعد إكمال المرحلة الثانوية توجهت لتأدية الخدمة الإلزامية في مجال التدريس كان ذلك في العام ١٩٩٨، ووقع توزيعي في مديرية أرحب بمحافظة صنعاء، وهناك عانيت كثيرا بسبب الأفكار والصور والمشاهد التي كانت تأتي من السماء، قيل عني بأني جنوبي وبأني أعمل مع الجنوب لتحقيق الانفصال، إن لم يكن ذلك اليوم سيكون غدا. كنت اقع تحت طائل من الأسئلة عن الجنوب، وماذا يريد الجنوبيون؟ وهل تتواصل مع البيض؟ وهل لك علاقة بهذا القيادي أو ذاك؟ كل هذا كان يحدث والجميع هنا لم يكن يتوقع أن الجنوب قادم على ثورة عارمة، لكنهم كانوا يدركون أن الظلم الذي يرتكبونه في الجنوب لربما يؤدي إلى شيء ما.. كانوا خائفين.

كنت أطرح مظالم الجنوب بكل قوة في النقاش، دعوتهم إلى مخاطبة النظام لإجراء إصلاحات وحل مشاكل الناس في الجنوب. وفي إحدى المرات توعدني مدير المدرسة في منطقة «بيت القطيبي» في أرحب بتأديبي حتى لا أتحدث عن الجنوب وفساد نظام صالح، وبعد عزومة غداء في منطقة مجاورة للمنطقة التي تقع فيها المدرسة شعرت بعدها بمغص شديد تلاه إسهال حاد، ألم شديد لم أشعر به طوال عمري قط، وانتفاخات رهيبة في البطن، عرفت فيما بعد من صديق كان يعمل مدرسا معنا، وهو من محافظة تعز، بأني وقعت ضحية حالة تسمم بصورة مقصودة، فعرفت أن مدير مدرسة بيت القطيبي نفذ تهديده، كان ذلك في العام ١٩٩٩، أما في العام الذي قبله فقد عملت مدرسا في مدرسة المنصور في مديرية أرحب أيضا، والحق يقال بأن مدير المدرسة الأستاذ منصور قرم كان يبدي حرصا كبيرا علي وأحيانا مخاوف من إمكانية تعرضي لمكروه في القرية أو في المدرسة، كان يدعوني إلى منزله للعشاء والحديث معي بصورة مؤدبة ومحترمة، حتى الزملاء أخذوا يغبطوني على ذلك الاهتمام الذي كان يبديه تجاهي مدير المدرسة المذكور.

وأثناء وجودي في أرحب لأداء التدريس كنت أزور العاصمة صنعاء يومها مرارا، وهناك التقي الأصدقاء والزملاء والأهل للحديث في السياسة وغيرها، كنت صادقا في المشاعر أقول ما أنا مؤمن به دون خوف أو قلق، لم أكن أدرك أن الأحاديث التي تقال هنا وهناك ممكن أن

تسجل أو تُرصد ليكون لها تأثير في يوم ما، وتصل أيضا للأجهزة الأمنية، وربما إلى أعلى الهرم.

أعود إلى أرحب لا أقول بأن علاقتي بالصحافة توسعت من هناك بعد أن بدأت كمحاولة في قريتي بمنطقة شعب بالصبيحة، حيث كتبت أول مقال لصحيفة «الأيام» وأرسلته من هناك عبر الفاكس ليتم نشره في صفحة المساهمات أو ما يعرف بصفحة القراء، كان ذلك في العام ٩٩، بعدها كتبت مقالات عديدة من أرحب ومن صنعاء في «الأيام» وغيرها من الصحف الأخرى.

أكملت الخدمة الوطنية في مجال التدريس لعامين ثم توجهت إلى عدن، وبالتحديد إلى جامعة عدن للالتحاق بقسم الصحافة والإعلام بعد أن كان قد تحدد ميولي ورغبتي للالتحاق بدراسة الصحافة والإعلام، وهناك كانت مرحلة جديدة ومثيرة من الإبداع والعمل في جميع الاتجاهات. .

* * *

الجامعة.. مرحلة جديدة

في الجامعة توسعت مداركي واهتماماتي، بدأت القراءة بصورة أوسع وأشمل من ذي قبل، اختلطت بمثقفين وطلاب نابهين من كل المشارب، عرفت حينها بأن نضالات الجنوبيين قد بدأت منذ بعد حرب صيف ٩٤ واحتلال الجنوب.. بدأت محاولات مقاومة في الضالع وحضرموت ولحج وغيرها، كانت بعض هذه الحركات والتحركات تتخذ شكلا سلميا ولكنه محدود، وبعضها تتخذ شكلا مسلحا مثل حركتي «حتم» و«موج» وغيرهما، ما سهل على النظام إخمادها وقمعها والسيطرة عليها بالعنف والقتل وسفك الدماء، أما أنا فقد استمر مشروعي السلمي بالصعود، التفكير بمشروع ثوري مغاير لم يألفه اليمن والجنوب على وجه الخصوص، كانت الأفكار وعمليات التخاطر والصور تأتيني من السماء وجميعها يؤكد بأن الحل هو ثورة شعبية سلمية، كانت أفكاري ترصد وتقرأ ممن حولي وأيضا عن بُعد، بينما أنا لا أدرك ذلك في معظم الأحوال، كان اختلاطي بالناس في عدن في المقاهي ومجالس القات وفي قاعات الدرس بالجامعة مدعاة لانتشار هذه الأفكار بصورة سريعة، فضلا عن كوني قد بدأت العمل في الصحافة بصورة دائمة كصحفي ومراسل وكاتب مقالات، وكانت البداية من صحيفة «الأيام» التي عملت بها بصورة رسمية من العام ٢٠٠٠، وهو العام الذي التحقت فيه بالدراسة في الجامعة.

والحق يقال، ربما لا أكون بمفردي من أسهم في انتشار أفكار الثورة السلمية في الجنوب، ولكن كنت أبرزهم، فقد سخرت كتاباتي ونشاطي في الصحافة والجامعة وخارجها لهذا الأمر، ناضلنا بصمت بين الناس وفي أوساط الجماهير.. كنت مؤمنا بالعمل السلمي لإيماني الكبير بالله الذي كان يمدني عبر نافذة في السماء بالأفكار والصور والتحركات الشعبية على الأرض، وعبري تنتقل إلى الناس كما كان يبدو لي، كان البعض يعارض لاسيما القلقون من استخدام العنف، بالإضافة لزبانية النظام ومخبريه الذين كانوا يحيطون بنا في كل مكان، كانوا ضد الثورة ويحذرون منها وبأنه سيتم قمعها وقتل الناس، لكننا لم نتوقف، استمرت حالة الإلهام حتى تحولت الأفكار السلمية إلى حالة الهام للناس، بدأت الوقفات السلمية تظهر في عدن بصورة أكبر منذ العام ٢٠٠٢ تقريبا، كانت بسيطة ومحدودة لكن العمل عليها استمر

بمثابـرة وجديـة، كانـت تقمـع بعنـف ومـا تلبث أن تعـود، تكونـت عنـد النـاس حالـة تمـرد وبـدأوا يدركـون أن العمـل السـلمي أقـوى وأمـضى مـن العمـل المسـلح والعنـف في إقـلاق النظـام الحاكـم وخلخلتـه.

كانـت صحيفـة «الأيـام» برئاسـة الأسـتاذ هشـام باشراحيـل – رحمـه اللـه – محطـة مهمـة ومحوريـة للنضـال، أفـردت الصحيفـة صفحاتهـا للنـاس تنقـل قضاياهـم وهمومهـم، وتنـشر التحقيقـات والتقاريـر والمقـالات الناقدة والمحاربـة للفسـاد والظلـم، أتاحـت صفحاتهـا لمعظـم الكاتـب مـن مختلـف المشـارب والألـوان. لقـد حظيـت بفرصـة للعمـل في «الأيـام» آنـذاك ويومهـا كانـت في الصـدارة ويتلقفهـا الصغـير والكبـير وتبيـع مـن نسـخها في اليوم الواحـد عـشرات الآلاف، ويصـل توزيعهـا إلى كل منطقـة في اليمـن وبعـض الـدول المجـاورة، حظيـت بفرصـة للعمـل فيهـا كمراسـل في عـدن، كان يتمناهـا كثـيرون مـن زمـلائي في قسـم الإعـلام بكليـة الآداب جامعـة عـدن.

تفجـرت طاقـاتي الإبداعيـة في مجـال الصحافـة عـلى صفحـات «الأيـام»، تعلمـت بسرعـة صياغـة الأخبـار والتقاريـر والاسـتطلاعات والتحقيقـات، كانـت أخبـاري تنـشر بالاسـم في الصفحـة الأولى وهـذه ميـزة لا يحظـى بهـا أحـد بسـهولة، أتذكـر أني في العـام ٢٠٠٢ كتبـت أول تحقيـق صحفـي عـن دور السـينما في عـدن، وكيـف تـم القضـاء عـلى الفـن السـينمائي في مدينـة الفـن بعـد العـام ٩٤، كان تحقيقـا جميـلا وفيـه كـمٌّ مـن المعلومـات المهمـة، حتـى أن أسـتاذ الصحافـة في قسـم الإعـلام الدكتـور عبداللـه الحـو أخـذ الصحيفـة التـي نُـشر فيهـا التحقيـق وحولهـا إلى مـادة عمليـة تطبيقيـة للطـلاب في القسـم، مشـيدا بالتحقيـق وكاتبـه، ثـم توالـت بعدهـا التحقيقـات والاسـتطلاعات..

ومـع مـرور الوقـت بـدأت أتقـن كتابـة هـذا الفـن الصحفـي بشـكل جيـد، وهـو مـا جعـل صحـف أخـرى أسـبوعية معارضـة في صنعـاء تطلـب منـي إعـداد تحقيقـات صحفيـة لهـا مـن عـدن بمقابـل مـادي طبعـا، إضافـة إلى مـا كنـت أحصـل عليـه مـن «الأيـام» ومـن جـدي المرحـوم عـلي أحمـد الشـعبي الـذي كان يعمـل بالخـاص في وادي مـور بمحافظـة الحديـدة ووقـف بجـاني داعـما ومشـجعا حتـى أنهيـت الدراسـة وحصـولي عـلى شـهادة البكالوريـوس.

عملـت في صحيفـة «الأيـام» أربـع سـنوات وهـي فـترة دراسـتي في عـدن، كانـت «الأيـام» صحيفـة نضـال وثـورة ومـن عـلى صفحاتهـا عبرنـا عـن

أحلامنـا وطرحنـا أفكارنـا ومشـاريعنا للنـاس.. والحـق يقـال بأنهـا سـاهمت في مراكمـة الفعـل الثـوري في الجنـوب منـذ بـزوغ الاحتجاجـات الأولى في التسـعينيات حتـى انطـلاق الثـورة السـلمية فيـما بعـد في العـام ٢٠٠٧.

كنـا نحلـم بثـورة في كل اليمـن لإسـقاط نظـام صالـح، لكنهـا لم تتحقـق إلا في الجنـوب، أولا بسـبب أن الشـمال لم يكـن جاهـزا آنـذاك لمثـل هـذا الفعـل، عوضـا عـن المخـاوف التـي كانـت تكتنـف الأحـزاب والقـوى السياسـية التي كانـت مـا تـزال مرتبطـة بالنظـام رغـم إعلانهـا معارضتـه، عـلى العكـس في الجنـوب، فقـد كان الفعـل الثـوري السـلمي بـدأ ينضـج وبـدأت الأفـكار تنتـشر بـين النـاس في بدايـة الألفيـة، وكان النـاس في الجنـوب قـد تمـردوا عـلى الأحـزاب وبـدأوا ينظمـون أنفسـهم في مسـيرات واحتجاجـات متفرقـة في أكـثر مـن مدينـة جنوبيـة، لكـن آلـة القمـع كانـت شـديدة والعمـل المخابـراتي والأمنـي لنظـام صالـح كان في أوجّـه، مـع ذلـك لم تتوقـف الأفـكار الثوريـة عـن التحليـق مـن السـماء إلى الأرض ومـن الارض إلى السـماء ومـن ثـم الوصـول إلى النـاس مشـكّلة حالـة إلهـام لميـلاد فعـل ثـوري سـلمي كبـير في الجنـوب سـوف يغـير الأوضـاع تمامـا في اليمـن كلـه.

اسـتمرت الأفـكار والصـور وحالـة التخاطـر تتنـزل مـن السـماء، كان تفكـيري منصبـا حـول الثـورة، لم أكـن أشـعر بذلـك، كنـت أعيـش حيـاة طبيعيـة، لم أكـن أعـرف أن هنـاك مـن يرصـد ويتابـع وينقـل إلا أحيانـا، لأني كنـت أتعـرض لـلأذى المسـتمر للتشـويش عـلى مـا يأتينـي مـن السـماء، فضـلا عـن محـاولات التشـويه والحـرب السريـة التـي لم أكـن أدركهـا إلا لمامـا.. كانـوا يثـيرون الغبـار حولنـا بينـما نحـن نحلـق كطائـر النـورس في السـماء ونحقـق اهدافنـا. لقـد اسـتمر الوضـع واسـتمرت الحالـة الثوريـة تتدفـق، في البدايـة لم أكـن أشـارك في الاحتجاجـات والفعاليـات، ولكـن كنـت أدرك أني أسـاهم في تحريكهـا عـن بُعـد بقـدرة اللـه.

أيـام الدراسـة الجامعيـة مـن أجمـل الأيـام، تحمـل ذكريـات لا تنسـى يحتـاج سردهـا لمؤلفـات، أتذكـر أني كنـت مـبرزا في الجانـب العمـلي بصـورة كبـيرة، وأعتقـد أني أصبحـت في فـترة قصـيرة مـن أبـرز الصحفيين الشـباب في قسـم الصحافـة والإعـلام وفي مدينـة عـدن بصـورة عامـة، لم تكـن هـذه الهواتـف الذكيـة متوفـرة يومهـا، ولم تكـن مواقـع الانترنـت الإعلاميـة موجـودة أيضـا، كان الـرواج الكبـير للصحافـة الورقيـة، وكانـت صحيفـة «الأيـام» في الصـدارة مـن هـذا كلـه، وكنـت أتصـدر صفحاتهـا بصـورة

شبه يومية خلال أربع سنوات مستمرة بمختلف الفنون الصحفية.

أتاح لي العمل في «الأيام» تكوين علاقات واسعة مع مسؤولين كثر منهم وزراء ورؤساء جامعات ووكلاء ومدراء عموم في عدن وخارجها، ومع أمناء أحزاب وقيادات سياسية كبيرة في مختلف مناطق البلاد، كوّنت صداقات كبيرة مع مختلف شرائح المجتمع، الناس البسطاء والعاديين أيضا كان لهم مكان في خارطة علاقاتي وصداقاتي المتنوعة.

أتذكر أن أول من استقبلني عند بوابة قسم الإعلام بكلية الآداب حينما ذهبت في اليوم الأول للتسجيل في القسم هو الأستاذ عبدالرحمن عبدالخالق، رحمة الله عليه، وكان أن استقبلني بحفاوة بعد أن عرفته باسمي، فاصطحبني إلى مكتب رئيس القسم الأستاذ الدكتور حسن حامد الحداد، رحمة الله عليه، الذي استقبلني هو الآخر بابتسامة عريضة، وقدمني الأستاذ عبد الرحمن عبدالخالق إليه، فقال الحداد «باسم الشعبي هذا يكتب في «الأيام» أعرفه»، فطلب مني الملف الذي يحوي شهادتي ووثائقي الأخرى، وقال «أنت إن شاء الله مقبول، بس لازم تحضر امتحان القبول»، حضرت امتحان القبول ونجحت بدرجة عالية، وأصبحت طالبا في القسم منذ العام ٢٠٠٠ وعلى مدى أربع سنوات جميلة مررنا بمحطات مختلفة علاقات صداقة وعلاقات عاطفية كأي شاب في ذلك السن، وأجمل ما في الأمر أنني استطعت التوفيق فيما بين العمل الصحفي في الأيام وبين الدراسة، والجمع بين الممارسة والتطبيق والجانب النظري، وهذا في الحقيقة ما أهلني لتحمل مسؤوليات كبيرة في حياتي العملية الصحفية والإعلامية فيما بعد أو في حياتي الأسرية، أو في نشاطي السياسي المستقل الذي لم ينقطع.

كنت في قلب الحدث دوما، منذ سن مبكر وجدت نفسي أخوض في الشأن العام وفي السياسة، كان الناس يتناقلون ما أقول منذ أن كنت في القرية، كانوا يعرفون عني أكثر مما أعرف عن نفسي، لذا كان يقول لي أصدقائي في مجالس القات أو في المدرسة أو في خارجها «حاسب على كلامك، شوف كلامك محسوب ومرصود»، كنت آخذ الأمر بقليل من الجدية، لكن مع مرور الوقت أدركت ما كان يقال لي يومها.

بين مدرسة الشهيد عبدالحميد ناجي في قرية شعب وبين قسم الصحافة في كلية الآداب بجامعة عدن مسافة طويلة، وسنوات ممتعة

وجميلـة، لقـد شـعرت بـأني قطعـت تلـك المسـافة طائـرا ومحلقـا في السـماء أقلعـت مـن شـعب وهبطـت في عـدن، ومـن هنـا إلى هنـاك حملـت معـي سـنوات الدراسـة الجميلـة التـي لا تتكـرر، كـما حملـت معـي حلـم الخـلاص، لقـد كانتـا تجربتـين فريدتـين في حيـاتي غيرتـا حيـاتي وتفكيري كثـيرا ومنحـاني طاقـة إيجابيـة خلاقـة لإنجـاز المهـام التـي تقـف أمامـي والأهـداف التـي وضعتهـا لنفـسي.

كنـت رياضيـا مـن الدرجـة الأولى ومشـجعا مهوسـا لفريـق التـلال أيـام القريـة والدراسـة الإعداديـة والثانويـة، وفي الجامعـة تركـت الرياضـة وانغمسـت في الصحافـة التـي شـكلت وجـداني واهتمامـي الفكـري والسـياسي بصـورة أوسـع فيـما بعـد..

* * *

السفرة الأولى إلى مصر

في العام ٢٠٠٣ بينما كنت في المستوى الدراسي الثالث في قسم الصحافة تحصلت على دورة تدريبية في مجال الصحافة بجمهورية مصر العربية، وتحديدا في معهد الأهرام للصحافة، وأتذكر أن السفير عبدالوكيل السروري، رحمة الله عليه، هو من أعطاني توصية إلى عند الدكتور صالح باصرة رئيس جامعة عدن آنذاك لمنحي مقعدا ضمن طلاب جامعة عدن المسافرين إلى مصر للتدريب في مختلف مؤسساتها، والحمد الله توفقت، إذ أعطى الدكتور باصرة توجيهاته لإدارة التدريب والتأهيل في الجامعة لمنحي مقعدا وتذكرة سفر لحساب الجامعة. سافرنا إلى مصر وكنا خمسة طلاب من قسم الصحافة: محسن الحوتري وأوسان مطهر وأنا بالإضافة إلى الزميلتين دفاع صالح حربي وعزة بن عقيل.. نزلنا في السكن الطلابي لجامعة حلوان المخصص للأولاد وآخر للبنات، وبدأنا التدريب بعد يومين من وصولنا أرض الكنانة، كنا نذهب صباحا في القطار من حلوان إلى القاهرة ونحضر محاضرات التدريب في معهد الأهرام الواقع في الدور السادس من عمارة مؤسسة الأهرام للصحافة، أتذكر أننا تلقينا التدريب على أيادي مدربين وصحفيين مهرة يعملون في صحيفة ومجلة «الأهرام»، منهم كما أذكر محمد حبوشه ومجدي الجلاد وآخرون.

مضينا شهرا كاملا في القاهرة ونضمت لنا مؤسسة «الأهرام» رحلات برية وبحرية عبر النيل، حيث زرنا الأهرامات ومتاحف مصر وقلاعها وغيرها من المعالم الجميلة في القاهرة والجيزة، بالإضافة إلى رحلة إلى شواطئ الإسماعيلية، فضلا عن رحلة ليلية عبر إحدى السفن الكبيرة عبر مياه النيل مع تناول وجبة عشاء فاخرة داخل السفينة، كان معنا طلاب من كلية الإعلام بجامعة صنعاء، ومن لبنان وسوريا وفلسطين. قضينا وقتا ممتعا تعليميا وتدريبيا وسياحيا، وفي نهاية الدورة حصلنا على شهادات من معهد الأهرام للصحافة.

ولأننا صحفيون قادمون من صحف ومؤسسات صحفية يمنية قمنا بإجراء حوارات صحفية عديدة مع صحفيين مصرين مشهورين، كان أهمهم الأستاذ مصطفى بكري الذي أجريت معه حوار صحفيا في مبنى صحيفته «الأسبوع» بالدوار الخامس الواقع بالقرب من نقابة الصحفيين المصرين في وسط القاهرة، ونُشِر الحوار في صحيفة

«الأيـام» بعـد العـودة إلى عـدن، كـما أجريـت حـوارا صحفيـا بمعيـة الزميلة دفـاع صالـح الحـربي مـع عـالم الصحافـة المـصري فـاروق أبـو زيـد، الـذي توقـع حـدوث الثـورة التكنولوجيـة الحديثـة قبل عقـد مـن حدوثهـا، وقـال بـأن الهاتـف الجـوال سـيحل محـل الكمبيوتـر والصحافـة الورقيـة، ونُـشِر الحـوار في صحيفـة «الأيـام» أيضـا باسـمي وباسـم الزميلـة دفـاع، كـما قمنـا بزيـارة اسـتطلاعية لأرشـيف «الأهـرام»، وعملنـا عـلى إعـداد مـواد عديـدة عـن ثـورتي أكتوبـر وسـبتمبر وتـم نشرهـا في «الأيـام» أيضـا.

لقـد كان السـفر إلى مـصر مهـما جـدا، أسـهم في تغيـيرات كثـيرة في حياتي العمليـة والمهنيـة إلى الأفضل..

* * *

مشروع التخرج «فتاة الجزيرة»

ومنذ العودة من القاهرة شرعت مباشرة في العمل على مشروع التخرج الجامعي، وكان عبارة عن صحيفة ورقية أسميناها «فتاة الجزيرة» تيمنا بالصحيفة التي أصدرها المحامي محمد علي لقمان في الأربعينيات بعدن، وكانت تحمل نفس الاسم، وكان إصدارنا لـ«فتاة الجزيرة» هو جزء من رد العرفان والجميل للمحامي لقمان وصحيفته التي لعبت دورا كبيرا في مجال التنوير والتثقيف في مرحلة الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي. عملنا على إعداد الصحيفة منذ وقت مبكر لكي تخرج بشكل جميل ورصين ولائق، بعد أن نال اختيارنا لاسمها استحسان الأساتذة في قسم الإعلام وأولهم رئيس القسم الدكتور حسن حامد الحداد الذي كتب لنا مقالا اخترناه ليكون افتتاحية للجريدة، لكن الحداد توفي ونحن ما نزال في إعداد الصحيفة، وقد حزنا عليه حزنا شديدا، وأفردنا مساحة متوسطة في الجريدة لكتابة مقالات ومرثيات عنه، رحمة الله عليه.

كان أول الداعمين لمشروع التخرج المهندس محمد عبدالله مبارك بن عيفان، حيث كان يعمل رئيسا للهيئة العامة للشؤون البحرية في عدن، وكنت قد تعرفت عليه حينما زرت الهيئة لعمل استطلاع صحفي لـ «الأيام» عن بعض السفن المتواجدة في مياه ميناء عدن، وعندما طلبت منه الدعم لبى الطلب مباشرة وقدم إعلانا للهيئة (صفحة كاملة) ودفع المبلغ مقدما.. لذا يجب أن لا أنسى له هذا الجميل ونحن نتحدث عن هذا المشروع الصحفي الذي لقي رواجا واهتماما كبيرا.

بعد أن أنهينا الدراسة النظرية انتقلنا من عدن إلى صنعاء لمتابعة إعداد الصحيفة، وكأي صحيفة تبدأ بمراحل عديدة من جمع المواد الصحفية إلى إعدادها وتحريرها إلى صفها على أجهزة الكمبيوتر إلى عملية الإخراج، حيث توليت بنفسي الإشراف على إعداد الصحيفة باعتباري رئيسا للتحرير، وكان معي الزميل سمير حسن مدير التحرير، والزميل مختار البعداني سكرتير التحرير. هؤلاء ساعدوني في بعض المواد السياسية والرياضية، وكانوا إلى جانبي في صنعاء لبعض الوقت، فيما اكتفى الزملاء الآخرون في هيئة التحرير وهم: صلاح عبده سيف ووليد عبدالواسع وعبدالرحمن نصر بإرسال بعض المواد من عدن.

كانت الصحيفة مبهرة ومتميزة وملهمة، خرجت في ٢٨ صفحة من القطع المتوسط، شملت حوارات مع الدكتور ياسين سعيد نعمان والدكتور فرج بن غانم أجريتها شخصيا في صنعاء، وحوارا مع الأستاذ مصطفى بكري رئيس تحرير صحيفة «الأسبوع» المصرية – عضو مجلس الشعب المصري (لاحقا) أجراه الزميل سمير حسن في القاهرة، وحوارا مع الإعلامية الشهيرة في قناة «الجزيرة» شيرين أبو عاقلة، رحمة الله عليها، أجريته معها أثناء زيارتها لصنعاء العام ٢٠٠٢، وعدد من الحوارات والمقالات والتقارير والتحقيقات المتنوعة والفريدة، جعلت القراء يقبلون عليها في المكتبات والأكشاك، حيث تم طباعة أربعة آلاف نسخة وتوزيعها في كل من عدن وصنعاء وغيرها من المحافظات، وكتبت عليها كثير من الصحف إشادات وإطراءات مختلفة، وحصل المشروع على درجة الامتياز كأعلى درجة لمشاريع التخرج في قسم الاعلام العام ٢٠٠٤.

أتذكر كثيرا من الأصدقاء كان لهم الفضل أيضا في إنجاح المشروع، ومنهم وداد سليم ومازن أديب وعبدالله سليم ووليد عبدالكريم وآخرون.

كما أتذكر أن وزير الإعلام حسين ضيف الله العواضي قد منحنا تخفيضا ٥٠٪ لطباعة الصحفية في مؤسسات الثورة للصحافة، بينما المبلغ الآخر دبرناه من أصدقاء وبيع مقتنيات وغيره.

وبعد مناقشة مشروع التخرج في قسم الصحافة والإعلام بجامعة عدن، عبر لجنة مكونة من الدكتور محمد علي ناصر (مشرف المشروع) والدكتور سليم النجار والدكتور حسين باسلامة، وبحضور الدكتور عبدالرحمن عبدالخالق، رحمة الله عليه، والأستاذ صالح ناجي حربي، رحمة الله عليه، وعدد آخر من الأصدقاء والضيوف، يكون بذلك قد أكملنا أربع سنوات من الدراسة في جامعة عدن، وبعدها غادرت عدن إلى صنعاء بحثا عن عمل وبدأنا مرحلة عملية ومهنية جديدة، لم تخمد خلالها أفكار الخلاص ولم يأفل الإلهام الآتي من أعلى، مرحلة جديدة في قلب أحداث جديدة ومهمة..

* * *

صنعاء.. مساحة إضافية للحلم

بعد عدن كانت صنعاء مساحة إضافية للحلم، عدت إلى صنعاء مرة أخرى باحثا عن عمل وأمل، كانت صنعاء ما تزال عاصمة لليمن، كانت مركز القوة والسيطرة والتحكم، وأيضا مركز تجبى إليه الأموال المنهوبة والموردة من جميع محافظات البلاد لاسيما من الجنوب.

كانت صنعاء قد تركت جرحا غائرا في الجنوب بسبب حرب صيف ٩٤، وما تلاها من أعمال تدمير ونهب وسطو طالت ممتلكات الدولة ومؤسساتها وممتلكات الناس من أراضي وشركات وغيرها، وكان من الطبيعي أن يترك هذا الفعل المشين شيئا في نفوس الجنوبيين لا سيما الوطنيين منهم، وكنت أحدهم، ويؤثر وينعكس ذلك في نشاطهم وعملهم الصحفي والإعلامي أو في العمل السياسي.

كان الجنوب حاضرا معنا ونحن في صنعاء، لم نكن ندرك حساسية ما يسببه الحديث عن قضية الجنوب لدى السلطات ولدى المثقفين وحتى الناس العاديين في الشمال، لكن حينما أدركنا ذلك بلورنا رؤية للعمل عليها في الصحافة وفي أوساط الناس، وجعلنا من دعم الجنوب وقضيته وحلها منطلقا أساسيا لحل مشكلات اليمن كلها بما في ذلك مشكلة الدولة الغائبة، لذا وجدنا كثيرا من الصحف تفتح صفحاتها لنا للكتابة عن الجنوب وعن ما تعرض له من ظلم وإقصاء واستبعاد، كان ذلك من منتصف العام ٢٠٠٤، قبل نحو ثلاث سنوات من انطلاق ثورة الحراك الجنوبي السلمي.

اتجهت للعمل في الصحافة المستقلة والأهلية والحزبية المعارضة، حيث عملت في صحيفة «الشورى» أيام رئيس التحرير عبدالكريم الخيواني، رحمة الله عليه، وكان التحاقي بالصحيفة قد تم عبر الأستاذ عبدالرحمن أحمد عبده الذي كان يشغل مديرا للتحرير حينها، وهناك تعرفت على صحفيين ومثقفين كثر أبرزهم الصحفي المتألق إبراهيم غانم وعبدالعزيز المجيدي وعيدي المنيفي وأمين الخرساني ومحمد الحاضري، وتعرفت ايضا لأول مرة على الروائي اليمني المميز علي المقري الذي كان يومها يحرر الصفحة الثقافية في الشورى، وكانت الصحيفة تفرد مساحات واسعة لتغطية الأخبار والأحداث في الجنوب بصورة مهنية قلما تجدها في صحيفة أخرى، نظرا لحرفية العاملين

فيها من محرري الأخبار والتحقيقات الصحفية، كما أفردت مساحات للرأي لكتّاب كثر من الجنوب والشمال تحدثوا عن الجنوب وقضيته بصورة واسعة وكبيرة.

ومن «الشورى» انتقلت إلى صحيفة «الفرسان» المستقلة التي كان يملكها ويرأس تحريرها الصحفي الكبير عادل الأعسم، ابن محافظة شبوة، وكان ذلك في العام ٢٠٠٥، وعملت معه لعام كامل محررا للأخبار والتقارير السياسية وكاتبا للتحليلات والمقالات أيضا.

لقد منحني «الأعسم» ثقة كبيرة ما جعلني أخوض لأول مرة غمار كتابة التحليلات السياسية عن مختلف القضايا وأهمها قضية الجنوب، وعن التفاعلات التي بدأت تبرز هناك وتوقعاتنا باندلاع ثورة شعبية، كانت التحليلات تصل إلى صفحة أو صفحتين من الصحيفة التي كانت تصدر بـ١٦ صفحة من القطع المتوسط التابلويد.

كان يعمل معنا ويساهم في تحرير الصحيفة صحفيون من الشمال، وعندما كان الأستاذ عادل يتأذى منهم يردد كلماته المعهودة «أنا بو محمد ما نطرفشي لحد إلا المقادير جابتني لأبوكم هدية»، كان البعض يضحك والآخر يسرها في نفسه دون رد.

في العام ٢٠٠٦ انتقلت للعمل في وكالة الأنباء اليمنية «سبأ:» المركز الرئيس صنعاء، حيث اجتزت امتحانا للقبول نجح فيه ما يقارب العشرين صحفيا من ضمن ما يزيد على مائة صحفي تقدموا للامتحان طالبي الالتحاق للعمل بالوكالة. كانت الوكالة في عهد الأستاذ نصر طه مصطفى في أوج عنفوانها وقوتها، التحقنا في البداية بالإدارة العامة للرصد والاستماع، وكان مديرها على ما أتذكر محسن الشريف، وكان موقع الإدارة في الدور الأخير من مبنى الوكالة المكون من ستة طوابق.

أمضينا شهرا في الرصد والاستماع نتابع الأخبار والتحليلات والبرامج السياسية من مختلف القنوات الفضائية، ونقوم برصدها وكتابتها على أجهزة الكمبيوتر وإرسالها إلى الجريدة السياسية التي كانت تصدر كنشرة يومية في بادئ الأمر توزع داخليا على المؤسسات والهيئات ورئاسة الجمهورية والحكومة وكبار المسؤولين، وعندما اتخذ الأستاذ نصر طه مصطفى القرار بتحويل «السياسية» إلى صحيفة يومية تباع في الأسواق وتوزع في جميع محافظات الجمهورية وقع علي الاختيار

مع ثلاثة من الزملاء للانتقال للعمل فيها، وهكذا انتقلت للعمل في جريدة «السياسية» اليومية إلى جانب عدد من كبار الصحفيين في الوكالة أبرزهم محمد راوح رئيس التحرير التنفيذي وعدنان الصنوي مدير التحرير (عين في ٢٠٢٢ سكرتيرا إعلاميا لرئيس مجلس القيادة رشاد العليمي)، كان عدنان صحفي شابا ويمتلك رؤية جديدة وحديثة في العمل الصحفي ما ساهم في تطوير الصحيفة والارتقاء بها بصورة كبيرة، حيث أصبحت وفي فترة قصيرة من أفضل الصحف في البلاد والأكثر مبيعا.

عملت أولا في القسم الاقتصادي ثم انتقلت إلى قسم التحقيقات بعد سلسلة تحقيقات صحفية قمت بإعدادها نالت إعجاب إدارة الصحيفة التي منحتني عليها جوائز مالية وتقديرية، وأتذكر اثنين من أهم التحقيقات التي أجريتها الأول عن الهيئة العامة للاستثمار الإدارة العامة في صنعاء، والثاني عن المنطقة الحرة في عدن وغيرها، كما كتبت سير ذاتية لعدد من الزعماء والسياسيين اليمنيين أبرزهم قحطان الشعبي، وعلي عبدالمغني، وعلي عبدالعليم، وآخرين.

كنت أعد التحقيقات الصحفية الميدانية، كما أقوم بتحرير التحقيقات التي تصل من مراسلي الصحيفة في المحافظات، وأيضا من المكتب الرئيسي في صنعاء، كان العمل ممتعا وشيقا، عملت متعاقدا في الصحيفة لمدة ثلاث سنوات من ٢٠٠٦ إلى ٢٠٠٩ وهو العام الذي توظفت فيه رسميا..

* * *

ثورة الحراك السلمي الجنوبي

انفجرت ثورة الحراك السلمي الجنوبي من ساحة العروض أو الحرية في عدن وأنا أعمل في جريدة «السياسية»، وأيضا كنت قد التحقت للعمل بعد الدوام في الوكالة بصحيفة «النداء» الأسبوعية لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ سامي غالب، كنت أطرح مطالب الجنوب بقوة بينما كنت في جريدة «السياسية»، وأتذكر أني طالبت رئيس التحرير نصر طه مصطفى بإفساح مساحة في الصحيفة تتناول قضايا الناس في الجنوب بكل موضوعية، وطلب مني إعداد تصور ورؤية لما يحدث في الجنوب وعملت ذلك وقدمته له، وعلمت فيما بعد أنه وجه هيئة التحرير بتناول مظالم الناس وأسباب انطلاق الحراك السلمي في مقالات الرأي وغيرها من المواد الصحفية الآخرى، وكانت «السياسية» من أكثر الصحف الرسمية انفتاحا وجرأة في نقد الفساد وسوء الإدارة في العاصمة ومختلف المحافظات.

في صحيفة «النداء» خضت تجربة مغايرة تماما، إذ كانت «النداء» من أفضل الصحف الأسبوعية وأكثرها مهنية وحرفية، كنت أنتقل من منطقة سعوان حيث أسكن إلى الحصبة موقع مقر الوكالة، ومن ثم من الحصبة إلى منطقة عصر حيث تقع صحيفة «النداء»، كنت أعمل في «النداء» من بعد العصر وحتى الثامنة أو التاسعة مساء، كان نهج التحرير في «النداء» مختلفا تماما عن باقي الصحف.

وكل هذه التجارب التي خضتها من «الأيام» إلى «الشورى» إلى «الفرسان» إلى «السياسية» و«المصدر» ثم «النداء» قد كونت لدي رصيدا مهنيا كبيرا، كما كونت خطي التحريري الخاص والمميز في كتابة الأخبار والتحقيقات والمقالات والتحليلات وغيرها من الفنون الصحفية، وهو ما ظهر فيما بعد في صحيفة «أخبار عدن» التي سيأتي الحديث عن تجربتي فيها لاحقا.

في «النداء» كان السقف منفتحا في النقد على النظام والسلطة، كما كان عاليا في تناول قضية الجنوب وثورة الحراك السلمي، وإن كنا قد ساهمنا بأفكارنا وما كان يمدنا به الالهام من صور وأحداث مسيرات ومظاهرات في عدن، كما ذكرنا ذلك آنفا.. فقد استمر الوضع في صنعاء، كنت مرصودا أيضا في صنعاء، كان بعض الشباب في جريدة

«السياسـية» يتهمونني بـأني انفصـالي نظـرا لكتابـاتي في «النـداء» أو في بعـض المواقـع الإخبارية، رغـم أني كنـت متوازنـا في تنـاول الأحـداث، وكان تعصبـي للحـراك مـن منطلـق شـعوري بكـوني واحـدا مـن ملهمـي الثـورة والمؤثريـن فيهـا، والحـق يقـال بـأني في البدايـة كنـت أسـعى مـع آخريـن لجعـل الثـورة ثـورة واحـدة عـلى امتـداد اليمـن لإسـقاط «صـالـح» ونظامـه، لكـن ذلـك لم يحـدث لأسـباب كثـيرة مـن أهمهـا أن الشـمال لم يكـن جاهـزا للثـورة في ذلـك الوقـت الـذي انطلقـت فيـه ثـورة الحـراك، ولأن مطالـب الحـراك كانـت قـد ارتفعـت بصـورة كبـيرة سياسـيا، مـع ذلـك حافظنـا مـن خـلال نشـاطنا السـياسي وكتاباتنـا الصحفيـة والإعلاميـة عـلى اسـتمرار الحـراك عـلى أمـل انطـلاق ثـورة أخـرى في اليمـن كلـه، وهـو مـا تحقـق في العـام ٢٠١١.

العمـل في الصحافـة والإعـلام يضعـك دومـا في قلـب الحـدث وفي قلـب المخاطـر، ولأن الصحافـة هـي الحامـل الفعـلي والحقيقـي للعمـل السـياسي، فإنـه بالـضرورة سـتكون سياسـيا وأنـت تعايـش الأحـداث والوقائـع بصـورة يوميـة. وعـلى الرغـم مـن عـدم انتـمائي لحـزب معـين إلا أني كنـت أشـعر بانتـمائي للشـعب كلـه، أعمـل مـن أجلـه، لا فـرق عنـدي بـين حـزب وآخـر أو لـون وآخـر أو معتقـد وإخـر، ليقينـي ان قـادة الثـورات أو الذيـن يعملـون عـلى الثـورات والتحـولات الشـاملة يسـأمون العيـش والبقـاء في بوتقـة واحـدة وضيقـة، ويحبـون الانتـماء للفضـاء الفسـيح الـذي يجمـع الـكل.

في صنعـاء – عاصمـة البلـد – قارعنـا «صالـح» ونظامـه، مسـتندين عـلى الأخطـاء والمظـالم التـي راكمهـا حكمـه وحكومتـه في مختلـف مناطـق اليمـن لاسـيما في الجنـوب، كانـت تسـند لي عـدد مـن الصحـف كتابـة التحليـلات والمقـالات عـن الوضـع في الجنـوب لاسـيما صحيفـة «النـداء»، وأحيانـا صحيفـة «النـاس» و»المصـدر»، لكـن «النـداء» كانـت ذات مسـاحة أكـبر وفضـاء أكـثر انفتاحـا مـن غيرهـا.

هـذه المسـؤوليات المهمـة جلعتنـي واحـدا مـن الصحفيـين الأكـثر درايـة ومعرفـة بملـف الجنـوب أشـبه بخبـير في هـذا الملـف، عـلى الرغـم مـن اهتمامـي ومعرفتـي الكامنـة بالملـف اليمنـي ككل. كونـت لـدي القـراءة الواسـعة والاطـلاع المسـتمر ، فضـلا عـن التأمـل والإلهـام الآتي مـن السـماء القـدرة عـلى توقـع الأحـداث قبـل وقوعهـا والتبشـير بهـا، حذرنـا نظـام «صالـح» مـن الانفجـار الكبـير في الجنـوب ولم يسـمع، ثـم حذرنـاه مـن الانفجـار الأكـبر في اليمـن ككل ولم يصغـي أيضـا.

لم يكــن «صالــح» ذكيــا بمــا يكفــي، كان ماكــرا ومخادعــا فقــط، ولأن الثــورة قــد اتخــذ قرارهــا في الســماء فإنــه لم يســتطع تحاشــيها أو صدهــا أو إخمادهــا، فكانــت ثــورة الجنــوب بمثابــة الملهــم والمحــرك الحقيقــي ليــس لثــورة الشــباب اليمنيــة فحســب، بــل للربيــع العــربي بأكملــه.

وهنــا أســتدرك لأقــول إنــه في بدايــة العــام ٢٠٠٧ قــررت مغــادرة مرحلــة العزوبيــة والدخــول في عــش الزوجيــة، عــدت إلى القريــة وهنــاك تزوجــت ابنــة عمتــي أم فضــل، ثــم انتقلنــا بعــد أشــهر للعيــش في صنعــاء في منطقــة ســعوان، في هــذا العــام أيضــا كان هنــاك حــدث صحفــي بــارز وهــام وهــو انتخابــات نقابــة الصحفيــين اليمنيــين، كنــت حــاضرا هــذا الحــدث، وقــررت ترشــيح نفــسي كعضــو في مجلــس النقابــة رغــم معرفتــي المســبقة بــأن المقاعــد محجــوزة ســلفا لقيــادة النقابــة الســابقة وموزعــة بــين الأحــزاب الرئيســية في البــلاد، خضــت المغامــرة وحصلــت عــلى ١٠١ صــوت، كان ذلــك مفاجــأة لكثيريــن عــلى اعتبــار أني التحقــت بالســباق الانتخــابي متأخــرا وعــلى اعتبــار اني مرشــح جديــد لا أنتمــي لأي حــزب ســياسي، حتــى أن الأســتاذ نــصر طــه مصطفــى نقيــب الصحفيــين الســابق ورئيــس مجلــس إدارة وكالــة الأنبــاء اليمنيــة «ســبأ» هنــأني عــلى ذلــك، قائــلا «ســيكون حظك في الــدورة الانتخابيــة القادمــة أفضــل»..

* * *

في الأردن وسوريا

في شهر أكتوبر من العام ٢٠٠٧ حصلت على دورة تدريبية في الأردن في مجال التحقيقات الاستقصائية لدى منظمة «أريج» بترشيح من صحيفة «السياسية» ووكالة الأنباء «سبأ»، غادرت صنعاء بمعية زملاء آخرين من الوكالة ومن صحيفة «الثورة» الرسمية، تحركنا من صنعاء منتصف النهار وقبل دخول المساء وصلنا الأردن، نزلنا في فندق خصص لنا في وسط العاصمة عمّان، شرعنا مباشرة للبحث عن عشاء يمني، لفينا أكثر من مكان لم نجد مطعما يمنيا متخصصا في الوجبات اليمنية، حصلنا على مطعم شامي يعمل فيه يمنيون، طلب الزملاء متبلات شامية وفاصولية يمنية، بينما طلبت أنا بيض مكشن على الطريقة اليمنية، أما الخبز فكان عبارة عن رغيف ساقع، إضافة إلى شاهي أحمر وعصائر طازجة، تعرفنا على يمنيين يعملون هناك من محافظتي تعز وحضرموت، وعندما غادرنا المطعم رأينا في الشارع المقابل صيدلية مكتوب عليها «صيدلية الأهدل» اقتربنا منها ودلفنا إليها وسألنا صاحبها من أي بلاد أنت؟ أجاب: من اليمن، وتحديدا من الحديدة، وبأنه من أسرة الأهدل المعروفة في تهامة، وأنه يعيش في الأردن منذ خمسين عاما، وقد أصبح مواطنا أردنيا يحمل جواز وجنسية البلد.

في اليوم التالي بدأنا البرنامج التدريبي في قاعة الفندق الذي نزلنا فيه، كانت المدربة صحفية دنماركية في اليوم الأول، وفي الأيام التالية تناوبت على التدريب مع مدربين ومدربات أخريات من الأردن وخارجها، كنا أربعة يمنيين، أنا والزميل عارف أبو حاتم من وكالة «سبأ» والزميلان معين النجري وعبدالله حزام من صحيفة «الثورة»، وهناك متدربون ومتدربات آخرون من الأردن وسوريا وفلسطين، كنا نتناول وجبتي الإفطار والغداء في الفندق على حساب الدورة، أما العشاء فكان على حسابنا في الخارج.

وفي اليوم الثالث للتدريب حضر رجل في منتصف العمر يبحث عني في الفندق وحينما قابلته عرفت أنه والد صديقي الأردني في جامعة صنعاء أيهم العتوم، يريد يعزمني على العشاء في بيته في منطقة تبعد عن العاصمة عمان بحوالي ساعة ونصف، قال: أنت وزملاؤك معزومون عندي على العشاء يوم غد في البيت، سوف أطبخ لكم

الطبخة الأردنية الشهيرة (المنسف)، وهي عبارة عن رز مع اللحم البلدي أو الدجاج، وتتعرفون على المنطقة وعلى أهلكم اليمنيين في جبل العتوم، وأخذ يتحدث عن أصوله اليمنية التي تعود إلى منطقة عتمة في ذمار شمال اليمن، حيث أشار إلى أن جده الخامس أو السادس غادر قبل ما يزيد على مائة وخمسين عاما من اليمن إلى مكة لأداء فريضة الحج، ومن هناك رحل إلى فلسطين ومن فلسطين تفرعت الأسرة إلى فروع، حيث يسكن الأردن الفرع الأكبر ويسمون «قبائل العتوم» ويبلغ عددهم ٨٠ ألف نسمة، بينما هناك فرع آخر باقٍ في فلسطين وفرع في سوريا أيضا.

تحركنا الساعة الخامسة والنصف عصرا من عمان صوب جبل العتوم قاصدين منزل صاحبنا العتمي اليمني، وصلنا الساعة السابعة مساء، توقفت السيارة أسفل الجبل بينما صعدنا نحن الجبل رفقة عدد من أبناء القبيلة إلى أن وصلنا منزل أبو أيهم العتوم، رحب بنا وعرفنا على أبنائه، وبعد نصف ساعة قدم لنا العشاء في مائدة كبيرة عليها وجبة المنسف (رز مع اللحم ورز مع الدجاج)، ويبدو على هيئة الرجل أنه ذو حال متواضع ليس غنيا وليس فقيرا، يعني ميسور الحال.

تناولنا العشاء وبعدها حكى لنا قصة انتقال أجداده من اليمن إلى الشام وكيف يعيشون الآن في الأردن كمواطنين أردنيين، كما حدثنا عن أسر يمنية عديدة تسكن الأردن منذ قبل مئات السنين منها أسرة آل الشعبي في محافظة أربد.

غادرنا منزل أبو أيهم العتمي الساعة الثامنة والنصف مساء تقريبا متوجهين إلى العاصمة عمان التي وصلناها في العاشرة، وكان في اليوم التالي حفل توزيع الشهادات، وكنا قد قررت أنا والزميل عارف أبو حاتم السفر إلى سوريا برا رفقة زميل سوري كان معنا في الدورة، فيما قرر الزميلان النجري وحزام العودة إلى صنعاء.

كانت ثورة الحراك السلمي الجنوبي في أوجها وقد امتدت من العاصمة عدن صوب المحافظات الجنوبية الأخرى والى حضرموت والمهرة وسقطرى، وكان الزميل عارف أبو حاتم كثير السؤال عن الحراك السلمي وقياداته ورموزه ومن يدعمه، كنت أرد عليه بما أمتلك من معلومات، لكنه كان مصرا على معرفة ما لا أعرفه في الحقيقة.

مكثنا أسبوعا في الأردن، وفي بداية الأسبوع التالي غادرنا في الصباح

بـرا مـن الأردن إلى سـوريا في سـيارة خاصـة اسـتأجرناها لهـذا الغـرض، قطعنـا المسـافة بـين عـمان ودمشـق في سـاعتين عـلى مـا أعتقـد، كنـا قبـل حلـول الظهـيرة في العاصمـة السـورية دمشـق، وتحديـدا في إحـدى الفنـادق القريبـة مـن سـوق دمشـق القديـم، أسـفل جبـل قاسـيون المطـل عـلى دمشـق، مكثنـا في الفنـدق قليـلا ثـم غادرنـاه إلى سـوق دمشـق باحثـين عـن وجبـة غـداء لم نجـد مطعـما يمنيـا أو حتـى عربيـا يقـدم الخبـز والمـرق أو الـرز والصانونـة، وجدنـا مطاعـم شـامية تقـدم وجبـات شـامية لا أسـتطيع أكلهـا، سـألنا فأجابنـا أحـد المـارة بأنـه علينـا أخـذ تاكـسي للذهـاب إلى المطاعـم اليمنيـة في منطقـة أخـرى مجـاورة لا أتذكـر اسـمها، منطقـة تمتـاز بشـارع طويـل يشـبه شـارع مـدرم في المعـلا تقـع المطاعـم اليمنيـة الحضرميـة والشـبوانية في وسـطها، وصلنـا إلى المطعـم وكان صاحبـه عقيـدا جنوبيـا مقيـما في دمشـق منـذ حـرب صيـف ٩٤ كـما عرفنـا هـو بنفسـه، تناولنـا الدجـاج المنـدي مـع الـرز وعدنـا إلى الفنـدق، فيـما أصبـح المطعـم المذكـور مقصدنـا اليومـي وقـت الظهـيرة.

مكثنـا في دمشـق أسـبوعا تجولنـا في المكتبـات ودور النـشر وزرنـا مكاتـب عـدد مـن الصحـف والمجـلات، أمضينـا وقتـا طويـلا في سـوق دمشـق القديم وفي الجامـع الأمـوي، أدينـا فيـه الصلـوات في مختلـف الأوقـات واسـتمتعنا بروعـة المسـجد وبالنافـورة الموجـودة في باحتـه، زرنـا قـبر المجاهـد البطـل صـلاح الديـن الأيـوبي الواقـع في محيـط المسـجد الامـوي، كـما شـاهدنا عمامـة الحسـين بـن عـلي بـن أبي طالـب، رضي اللـه عنهـما، الموضوعـة داخـل طبـق مـن زجـاج وسـط المسـجد الأمـوي، وكـذا عمامـة النبـي يحـي بـن زكريـا عليـه السـلام، والكثـير مـن الآثـار والنقـوش القديمـة والتاريخية التـي تعـود لحقـب زمنيـة مختلفـة ومتباعـدة في صـدر الإسـلام ومـا بعـده ومـا قبلـه بكثـير.

وبالقـرب مـن مدينـة دمشـق تقـع منطقـة كفـر سوسـة، وهنـاك زرنـا الأخ مصطفـى الشـعبي وهـو سـوري يقـول إنـه مـن أصـول يمنيـة جنوبيـة وتحديـدا مـن منطقـة شـعب في الصبيحـة التـي أنتمـي إليهـا أيضـا، يؤكـد مصطفـى أن جـده هاجـر مـن اليمـن إلى مكـة ومنهـا إلى سـوريا وعـاش فيهـا منـذ أكـثر مـن مائـة سـنة، وخلـف أولادا وهـؤلاء تناسـلوا ليكونـوا أسرة كبـيرة تعـرف بـ«آل الشـعبي»، قوامهـا بحسـب مصطفى يصـل إلى ١٥ ألـف نسـمة يسـكنون في كفـر سوسـة ومناطـق مجـاورة في الشـام.

في تلـك الليلـة أطربنـا شـقيق مصطفـى بوصـلات غنائيـة شـامية وعربيـة

عبر العزف على آلة العود، وقال إن الحنين يشده لزيارة اليمن وتحديدا الضيعة أي القرية التي جاء منها جده. يعمل مصطفى ضابطا في مطار دمشق ومتزوج ولديه أولاد وبنات جميعهم يتمنون زيارة أرض الأجداد، أما مصطفى فقد سبق له زيارة الضيعة في قرية شعب عام ٢٠٠٢ تقريبا، لا أعرف شيئا عنهم الآن، لا أدري كيف هو حالهم بعد الأحداث التي حصلت في سوريا منذ الثورة وحتى اليوم، أتمنى أن يكونوا بخير.

زرنا جبل قاسيون، اعتليناه ليلا، شاهدنا دمشق ومدن سورية أخرى في الأسفل وكأنهن لآلئ مذهبات بأنوار مختلفة، منظر بديع جدا باعث على التأمل والإلهام.

في اليوم السابع لوصولنا دمشق غادرنا المدينة عبر المطار في الساعة الخامسة عصرا على الطيران السوري متجهين صوب مطار القاهرة الذي وصلناه في السابعة مساء ومكثنا فيه حتى العاشرة مساء، توجهنا بعدها على طيران اليمنية صوب صنعاء التي وصلناها بعد منتصف الليل..

* * *

العودة من دمشق إلى صنعاء

عدت من دمشق إلى صنعاء بعد أسبوعين من الغياب، ومع اشتداد الحراك السلمي في الجنوب كنت أجد نفسي محاصرا بالأسئلة والاستفسارات، سواء من قبل النخب والمثقفين أو من قبل الناس العاديين: ماذا تريدون ياجنوبيين؟ هل تريدون تنفصلوا؟» كنت أشعر بنفسي محاصرا ومرصودا بشكل غير مسبوق، في المجالس كانت توجه الأسئلة لي بمفردي، وفي العمل وأحيانا من قبل العامة في الشارع، حينما تكون في عاصمة بلد لا يريد حكامها أو ساستها أن يسمعوا النقد أو النصح فإن الأمر يبدو أكثر حساسية، وحينما لا يريد الناس هنا أن يعترفوا بالأخطاء التي ارتكبت في الجنوب ويتعاملون مع ما يجري هناك باعتباره «شويه ناس فقدوا مصالحهم»، فتجد نفسك بكل تأكيد تسير على حقل من الألغام، ومع ذلك مضينا في خطنا ونهجنا، كنا نعمل لصالح الحراك في الجنوب في الوقت الذي كنا نعمل فيه أيضا على تفجير ثورة في اليمن كله، فإزاحة «صالح» ونظامه أمر حسم في السماء، وكان ذلك يمثل أولوية بالنسبة لنا وللكثيرين لإعادة معالجة القضية الجنوبية ومشكلة الدولة في اليمن.

في مارس من العام ٢٠٠٨ رزقني الله بالمولودة البكر التي أسميتها «أمل»، قبل هذا الشهر كنت أشعر بأنني سوف أتعرض لحادث ما، كان الله يلهمني ذلك، حادث قد أنجو منه وقد لا أنجو، لذلك سميت ابنتي «أمل»، لعل وعسى أن يمنحني ذلك الأمل فرصة جديدة في النجاة والحياة. في نهاية أبريل أو بداية مايو تعرضت فعلا لحادث مروري، بينما كنت قادما من منطقة باب اليمن باتجاه الحصبة، وبينما نحن في السائلة خلف وكالة سبأ للأنباء وبصورة مفاجأة صدمتنا سيارة هيلوكس، كنت في المقعد الأول لـ»دباب» أجرة فتركزت الصدمة مباشرة علي، أصبت بكسر في أسفل القدم، وتفاجأت بسائق الدباب يهرب من ساحة العملية، لم أجد من يسعفني فاضطررت إلى إسعاف نفسي على متن مُترُ (دراجة نارية) إلى أمام بوابة الوكالة، ومن هناك نقلني الزملاء إلى مستشفى مجاور خاص، وبينما أنا على السرير فوجئت بسائق السيارة الذي تسبب بالحادث قد لحق بنا إلى المستشفى، وإذ به يقف أمامي ويقول للزملاء: «أيش رأيكم نضرب له إبرة؟»، فرفض الزملاء بشدة.. وبعد مدة قصيرة أخبرني أحد الزملاء

بأن «السائق إنما هو ضابط في الأمن القومي، وكان يريد يخلص عليك بإبرة، يعني كانوا يريدون يجزعوك».

الحمد الله نجوت، لقد كان الأمل الذي في صدري أكبر من كل شيء، الأمل بالله من أعظم ضروب اليقين والخلاص والنجاة، لكني أدركت أن ما حدث كان رسالة لي بسبب نشاطي وعملي الصحفي والسياسي.

مضى العام ٢٠٠٨، في الصباح عمل في صحيفة «السياسية» وفي المساء في صحيفة «النداء»، اشتغلت على مواد صحفية كثيرة مهمة تلامس هموم الناس ومعاناتهم اليومية والحياتية، وأي صحفي لا يغوص في أعماق قضايا ومعاناة الناس العاديين لن يستطيع أن يفهم ما يعانيه البلد. إن من يريد معرفة وتشخيص الوطن وما يعانيه من آلام وأوجاع عليه أن يقرأ ملامح ووجوه البؤساء والفقراء، فهم الملمح الرئيس لوطن كان يترنح في شرنقة الفساد والعبث والبؤس والتمزق، وتغتلي في أحشائه ثورات وليس ثورة واحدة، بينما حكامه كأن الأمر لا يعنيهم يسيرون بكل صلف صوب الثراء الفاحش والتوريث اللعين.

بدا العام ٢٠٠٩ مغايرا، كانت حالة التوقعات فيه بالأحداث مرتفعة على الصعيد الشخصي والعام، توقعت أني سأعود إلى عدن للعمل من هناك في صحيفة أسبوعية، لكني لم أكن أدرك ما هي ومن يقف خلفها، إلى أن جاءني اتصال من صديق، وكنت يومها في عدن في مهمة عمل لصالح صحيفة «السياسية» للكتابة عن أسباب انطلاق ثورة الحراك السلمي، وعن قضايا ومعاناة الناس، وعن وضع الدولة ومؤسساتها هناك، أخبرني المتصل بضرورة اللقاء في المساء، ولما التقينا عرض علي تصورا بإنشاء الصحيفة. كانت العودة إلى عدن والعمل في صحيفة في ذلك الوقت كنوع من المغامرة بسبب ارتفاع وتيرة الحراك، وبسبب القمع الأمني والسلطوي الذي زاد الأمر سوءا، لاسيما وهو أكثر ما يستهدف الصحفيين..

* * *

العودة من الحدث إلى قلب الحدث

إذا كان في صنعاء يتفاعل الحدث السياسي، فإن في عدن كان يغلي الحدث الثوري ويسمع ويتردد صداه في كل أرجاء اليمن وخارجه.

قال الزميل الذي بدأ حوارا معي للعمل كرئيس لتحرير صحيفة «أخبار عدن» إنها ستكون منفتحة ومتوازنة، لكن بعد أن عرفت أن الصحيفة ستكون تابعة لرئاسة الجمهورية رفضت بشدة، قلت له أنا مشروعي مختلف عن مشروع الرئاسة وعن مشروع علي عبدالله صالح تحديدا، وبالتأكيد سوف نصطدم ببعض أو سنتقاطع في منتصف الطريق، قال بكل ثقة: «لا تقلق، نحن سنكون بجوارك والصحيفة ستكون مستقلة»، جددت رفضي وأشرت إليه بإمكانية الاستعانة بالزميل سليمان حنش، رحمة الله عليه، كرئيس تحرير، فهو يعمل في صحيفة «الأيام» وكان مديرا لتحرير وكالة أنباء عدن، وربما يستطيع إدارة الصحيفة، ذهب الزميل بتوجيهات من صنعاء واتفق مع الزميل سليمان حنش وذهب به إلى صنعاء للجلوس مع السكرتير الإعلامي لرئيس الجمهورية، ثم عادوا إلى عدن لإصدار العدد الأول، ولما تأخر الإصدار تلقيت اتصالا من رئيس شركة سبأ ميديا التي تصدر عنها الصحيفة يطلب مني ضرورة اللقاء، ولما التقينا في منزله عرض علي من جديد إدارة الصحيفة والسفر إلى عدن لإصدارها قائلا إن الجماعة في عدن عجزوا عن إصدار العدد الأول، وبعد ضغوطات كثيرة مورست علي من أعلى هرم السلطة وافقت على السفر إلى عدن، بشرط أن تكون الصحيفة منفتحة وتغطي جميع الأحداث في عدن وغيرها، تمت الموافقة وانطلقنا من صنعاء في منتصف شهر أغسطس ٢٠٠٩ بعد صلاة العصر صوب عدن، وصلنا عدن ليلا ونزلنا في إحدى الفنادق بساحل أبين، وفي اليوم التالي ذهبنا إلى مقر الصحيفة في خورمكسر وبدأنا العمل من يومها لإصدار العدد، وخلال يومين جهزنا العدد الأول، كان عددا مميزا ومتوازنا، كانت فيه أخبار وتصريحات للسلطة ومثلها للمعارضة وأخرى للحراك ومواد أخرى متنوعة ما بين تقارير وتحقيقات واستطلاعات تهم الناس، عرفت فيما بعد أن رئاسة الجمهورية انزعجت من الإصدار الأول، لاسيما من أخبار وفعاليات الحراك، ومن تصريح للدكتور ناصر الخبجي وضعناه في الصفحة الأولى، فكيف لنا إصدار صحيفة في عدن دون تناول الوضع في الجنوب الذي كان يغلي بصورة

كبيرة جدا؟! أردنا العمل باستقلالية ومسؤولية كما اتفقنا، بينما أراد الجماعة العمل ضد الجنوب والحراك بصورة تعرض طاقم الصحيفة للخطر، وهو ما تم رفضه بالإجماع داخل إدارة الصحيفة.

كان خط الصحيفة الذي رسمناه وطنيا بامتياز ومتوازنا، بينما أراد الجماعة تحويلنا إلى مجرد بندقية لتوجيه الرصاصات من خلالنا للآخرين المعارضين لهم، ولكل من يطالب بالإصلاحات والتغيير. في الحقيقة بدأ مشروعنا وخطنا في الصحيفة مختلفا عن ما تريده الرئاسة وقدمنا طلبا بالإعفاء من مواصلة العمل وتحمل المسؤولية، لكنهم رفضوا وطلبوا منا الاستمرار، تلقيت عدة تحذيرات من زملاء وسياسيين بأهمية ترك العمل حرصا على حياتي، بينما أخذ البعض من المعارضين تحذيرنا بنبرة زعل من الاستمرار في العمل مع الرئاسة، ومنهم قيادات في اللقاء المشترك، أحدهم قال: «سنحاكمك أنت وسليمان حنش لأنكم أخذتم اسم صحيفتنا (عدن)».

كان «اللقاء المشترك» يريد تدجيننا للعمل معه بالحق والباطل، وكان «صالح» يريد إخضاعنا بالترغيب والترهيب للسير في خطه، بينما نحن نعمل من أجل التغيير في اليمن، نعمل مع الناس مع الشعب، صحيح أن عملنا إذا نجح سوف يخدم أحزاب «المشترك» و«الحراك» وسينقلهم من المعارضة إلى السلطة، لكن في الواقع كانت لدينا قضية كنا نعمل في الوصول إلى الهدف لمعالجة قضايا الناس وحل مشكلة الاستبداد ومشكلة الدولة في اليمن.

والحق أقول إننا كنا نعمل على الثورة الشعبية الشاملة، هو حلم ولد وعاش معنا، تأتي الصور والتحركات من السماء ونخطط بمساعدة السماء ثم تنتقل الأفكار إلى الناس، كان لدينا تصور بالدولة القادمة بشكلها ومضمونها، لكن بعد أن انطلقت الثورة دخلنا في دوامة أخرى من محاولات الإبعاد والإقصاء بوسائل خطيرة ومختلفة استخدمها «صالح» وربما قوى خارجية، وشاركت فيها الأحزاب، سياتي الحديث عنها.

استمررنا في العمل بصحيفة «أخبار عدن» لمدة عام تقريبا، نجحنا في خلق صحيفة ناجحة ومميزة ومتوازنة وجديرة بالاحترام، لكن النظام لم يعجبه ذلك فاختلفنا، أرادوا الانتقام منا بشتى الوسائل وتشويهنا، لكن الله كان لهم بالمرصاد، كانت الثورة تقترب وكنا نتابع ذلك عبر

نافـذة في السـماء، كان الحلـم أكـبر مـن أن نخضـع أو نستسـلم، جـرأة الحلـم حملتنـا عـلى الأقـدام والمغامـرة في إنجـاز الهـدف.

كل مـا في الأمـر أن الثـورة كانـت أمـرا وقـدرا سـماويا عـاش معنـا منـذ الطفولـة حتـى حـان موعـده، كنـا مجـرد أدوات للـه ننفـذ أمـره في الأرض، أوذينـا مـن «صالـح» ونظامـه كثـيرا وتحملنـا ذلـك بوعـد مـن اللـه في دفـع ورفـع الأذى والظلـم وإحقـاق الحـق، كانـت تجربـة «أخبـار عـدن» فيهـا مـن التحـدي الكثـير ومـن المغامـرة أكـثر مـما يتصـوره عقـل، دفعنـا بعـد تـرك الصحيفـة ثمنـا كبـيرا مـن راحتنـا وصحتنـا، اتهمنـا بالخيانـة وغيرهـا لأن النظـام كان يبحـث عـن مسـوغات للقضـاء علينـاَ والتخلـص منـا لكنـه فشـل، سـافرنا إلى الكويـت في منتصـف العـام ٢٠١٠ ونحـن لا نـزال نعمـل في الصحيفـة، ولمـا عدنـا اتهمنـا بالتآمـر واسـتلام أمـوال للانقـلاب عـلى نظـام الحكـم وفصـل الجنـوب، وبـدأت الملاحقـات والمطـاردات في كل مكان، كانـوا يسـتخدمون مؤثـرات نفسـية وعقليـة في محاولـة لإثبـات اتهاماتهـم لكنهـم فشـلوا، لم يسـتطيعوا إثبـات أي مـن اتهاماتهـم لأنهـم لا يمتلكـون أي دليـل مـادي، والسـحر دائمـا مـا ينقلـب عـلى السـاحر كـما يقـال، وهـذا مـا حـدث فيـما بعـد، حيـث وقـع «صالـح» في شر أعمالـه القـذرة وتحقـق وعـد السـماء بالثـورة.

فقدنـا امتيـازات كثـيرة، وضحينـا بوعـود أكـثر، بسـبب إيماننـا بالتغيـير، وإيماننـا بمـا يـأتي مـن اللـه موجهـا ومبـشرا بالثـورة، اسـتهدفنا بصـورة بشـعة بينـما كنـا عـلى رأس العمـل، ثـم زاد الاسـتهداف أكـثر حينـما غادرنـا الصحيفـة في أكتوبـر ٢٠١٠، لكـن جـرأة الحلـم والمغامـرة في تحقيقـه كانت أقـوى مـن كل شيء. الأمـور تتحـرك في السـماء، الثـورة عـلى «صالـح» حدثـت في السـماء قبـل أن تحـدث في الأرض، أشـبه بمـا حـدث مـع ثـورة الحـراك حـدث مـع ثـورة الشـباب الشـعبية، ومـن يقـف مقاومـا لإرادة اللـه يُسـحق ويسـقط في النهايـة، لأن إرادة اللـه أقـوى وأمـضى ولا راد لقضائـه.

مـا حـدث بعدهـا كان انقلابـا عـلى رجـال وشـباب الثـورة مـن قبـل قـوى قالـت إنهـا قـوى الثـورة، انقلبـت عـلى الثـورة وعـلى تطلعـات النـاس وسـلمت زمـام الأمـور للخـارج وقبضـت الثمـن، ثـم حـدث مـا حـدث بعدهـا، سـنأتي لذكـره.

الحقيقـة كنـا في دائـرة الاسـتهداف مـن قبـل قـوى عديـدة لم تكـن تريـد الخـير لهـذا البلـد، والبعـض ممكـن يسـتهدفك بسـبب كتاباتـك ومواقفـك

خدمة لأجندة محلية خاصة أو خارجية، ليس هناك قوى وطنية الجميع مرتبط بالخارج ويعملون بالأوامر، كبارا وصغارا.

وبعد أن تراكمت الضغوط كتبت مقالا بعنوان «حقل ألغام»، صورت فيه المشهد في عدن أو العمل الصحفي فيها في تلك الفترة كمن يسير في حقل ألغام ممكن أن تنفجر فيه في أية لحظة، ولكننا نجونا بفضل الله ورحمته.

ومن المناسب الحديث أن صحيفة «أخبار عدن» في تلك الأثناء أسهمت في إخراج صحفيين مميزين أصبح لهم شأن في عالم الصحافة والإعلام، منهم : منصور صالح ووائل القباطي وعواد الشعبي وعبدالخالق الحود وفواز منصر، وآخرون.

وأثناء تواجدنا في عدن بتلك الفترة حضرنا العديد من الفعاليات والمليونيات للحراك في عدن وأبين وردفان وغيرها، ونسقنا مع الكثير من قيادات وشباب الحراك على عمل مشترك ومثمر..

* * *

مرحلة ثورة الشباب الشعبية

لم تكن مشاهد الثورات الشعبية السلمية وهي تنفجر في شارع أبو رقيبة بتونس، أو ميدان التحرير بالقاهرة، أو ساحة الحرية بتعز، مفاجأة لي أو يمكن أن تكون مشهدا جديدا، فقد سبق لي أن رأيت ذلك إما في الحلم أثناء المنام أو عبر النافذة التي تتجلى في السماء أو أن ملكا نزل من السماء وأيقظني من المنام وأراني تلك المشاهد قبل وقوعها بفترة من الزمن.

لم تكن الثورات أو ما سمي بـ«الربيع العربي» فعلا سلبيا، وما حدث بعدها هنا وهناك لا تتحمله الثورات ولا الشعوب التي خرجت بصدور عارية تنشد التغيير والتحول، وإنما السبب هي القوى السياسية التي لم تكن جاهزة للتعاطي مع هذا الحدث الهام ومع إدارة الدولة فيما بعد، واتضح إنها قوى مرتبطة بالخارج تنفذ أجندة غير وطنية، السبب ايضا هو بعض الأنظمة في المنطقة التي قادت ثورات مضادة ضد ثورات الشعوب لتعطيل ماكنة التغيير التي بدأت بالدوران، السبب الغرب وإسرائيل الذين يرفضون أن يأتي التغيير في المنطقة عن طريق الشعوب أو الديمقراطية وإنما يريدونها أنظمة مستبدة هم من يختارها ويعينها ويدعمها، لذلك دعموا دول المنطقة لإفشال الثورات والانتقام من رجالها وقادتها ومن الشعوب بكل الوسائل، لذا رأينا الحروب في دول «الربيع» تنفجر انتقاما من الشعوب ومطالبها في التغيير، رأينا عدم الاستقرار وعودة الاستبداد من جديد في دول أخرى وهكذا، وآخرها ما رأيناه في السودان من احتراب بين العسكر الذين شاركوا في الثورة ثم اختلفوا على المصالح، فوجدوا الدعم الخارجي لإشعال الحرب انتقاما من الشعب السوداني ومطالبه في التغيير والإصلاح والبناء.

كان قد داهمني المرض بينما أنا في صحيفة «أخبار عدن»، خرجت منها مريضا أعمل بنصف طاقة وبنصف عقل، ولما انفجرت الثورة الشبابية ليلة ١١فبراير ٢٠١١ من ساحة الحرية في تعز أحسست برأسي ينفجر عدة انفجارات ثم دخلت في غيبوبة لبعض الأيام، ثم أصحو للعمل في وضع معقد صحيا، أكتب على الفيسبوك وأنشر المقالات للتواصل مع الناس، ثم استهدف مرة أخرى وأعود إلى الغيبوبة، ثم أصحو وهكذا، استمر الأمر لفترة طويلة، عانيت فيها كثيرا، استهداف خطير وسري، هناك من قال إن أجهزة إشعاعية وجهت إلى الرأس بهدف إخراج

العقل عن الجاهزية والتسبب بتشويش وشلل دماغي مؤقت، وهناك من قال إنه تم استخدام السحر بصورة قوية لمنعي من العمل بصورة طبيعية، والتسبب بقيود نفسية وعقلية لمنعي من المشاركة في الثورة وجعلي حبيس المنزل، مع ذلك لم نستسلم إطلاقا، نشطنا في عدن بين الناس وبين النخب والمثقفين وشباب الثورة، صحيح كنا بنصف صحة وبنصف طاقة، لكن ذلك لم يمنع من الاستمرار في العمل مع الجماهير.

اعتقدت القوى الإسلامية، لاسيما الإخوان المسلمون، أن هذه الثورات ثوراتهم باعتبارهم الأكثر تنظيما من غيرهم، وبسبب الدعم الذي حصلوا عليه من بعض الدول سيطروا على المشهد الثوري كمقدمة للسيطرة على السلطة وإقصاء الآخرين أو تهميشهم، مع أن الأصل هو إقامة ليس نظام حكم إسلامي وإنما إنساني مدني بمشاركة كل قوى الثورة (إسلامية ويسارية وعلمانية ومدنية...) لقطع الطريق على الدولة العميقة والنظام السابق لإعادة إنتاج نفسه من جديد بمساعدة قوى خارجية، لكن هذا لم يحدث، أراد الإسلاميون أن يسيطروا كما حدث في مصر فتم إجهاض التجربة بعد أن تحالف الجيش مع قوى الثورة التي أقصاها الإخوان المسلمون، وفي تونس أرادت حركة النهضة أن تسيطر ورغم أنها كانت الأفضل حالا لكنها فشلت، وتم الدفع بالبلد من جديد إلى مسار ديكتاتوري جديد يتمثل في الرئيس قيس سعيد الذي ألغى المؤسسات الدستورية والقضائية وفتح السجون أمام المعارضين وقوى الثورة، في اليمن أراد «الإصلاح» أن يسيطر من خلال رئيس الحكومة الضعيف محمد باسندوة، ومن خلال الرئيس هادي الأضعف، وبوجود علي محسن نائبا للرئيس، ومارس الإقصاء ضد الحوثيين والحراك أولا واستبعدهم من الشراكة، ثم مارس الإقصاء على شركائه في السلطة وجعلهم في الهامش، لم يكن «الإصلاح» يمتلك مشروعا لإدارة الدولة، كل ما فعله هو والأحزاب الشريكة في السلطة الاستحواذ على الوظيفة العامة والمناصب في الداخل والخارج وممارسة الفساد بصورة أبشع وأفظع مما فعله «صالح» وحزبه.

أداء «الإصلاح» والحكومة وهادي الهش والضعيف سهل الأمر بصورة كبيرة لتحقيق اختراق قوي من قبل «صالح» وقوى خارجية لدفع البلاد صوب الحرب المدمرة، مستخدمين «الحوثي» كقفاز ومعول هدم وخراب ليس أكثر.

خلال فترة الثورة اشتغلنا في عدن على مشاريع كثيرة، سواء مع شباب

الثورة في كريتر أو مع شباب الحراك أو ثورة ١٦ فبراير في المنصورة، نسقنا الجهود ووحدنا الخطاب لبعض الوقت باتجاه إسقاط النظام رغم رفض البعض من قيادات الحراك الذين اعتبروا ثورة الشباب إسقاطا لـ«صالح» في الشمال والحراك في الجنوب، وهو ما جعلني أرد على هذا الكلام في جلسة خاصة مع شباب الحراك والثورة في ساحة المنصورة، قلت لهم: «لا قلق، إسقاط صالح ونظامه في صنعاء سوف يؤدي إلى سقوط قبضته الأمنية والمدنية في محافظات الجنوب، وسوف يكون الحراك هو البديل، إن لم يكن اليوم سيكون غدا»، قلت لهم إن انشقاق نظام صنعاء بين «صالح» وحزبه وعلي محسن والإصلاح وقواتهم واحترابهم هو لصالح الجنوب، اذا لم تظهر النتائج اليوم ستظهر غدا، قلت لهم إن تفكيك المركز العسكري والسلطوي والقبلي في صنعاء الذي احتل الجنوب هو لصالح الجنوب، بحيث حينما يضعف المركز ويتفكك في صنعاء العاصمة سيتفكك في الأطراف لاسيما في الجنوب، قلت لهم إن «الإصلاح» ليس مؤهلا للحكم، سوف يفشل وفي وقت قصير لأنه حزب يقدم الجماعة على الدولة وعلى الشعب، ويريد أن يختزل الدولة والشعب داخل الجماعة، لذا سيفشل.. حاولنا تلطيف الأجواء ليستمر الزخم الثوري في عدن بصورة مرتفعة وقوية.

والحق يقال إننا أيضا عملنا مع الأحزاب في عدن أثناء الثورة، وصممنا لذلك مشاريع ومبادرات عديدة كان أبرزها مبادرة شباب الثورة لحماية عدن التي أعددتها شخصيا بمشاركة الصديق نائف المزاحمي، ابن ردفان، الذي تعرفت عليه في ساحة المنصورة في مارس ٢٠١١ وأصبحنا صديقين منذ ذلك الوقت نعمل وننشط سويا.

المبادرة التي دعينا إليها شباب الثورة الدكتور عبدالله العليمي الذي أصبح اليوم نائب رئيس الجمهورية، والدكتور واعد باذيب وزير التخطيط، والأستاذ مراد الحالمي وزير النقل وزملاء آخرين، دعيناهم جميعا لعمل حفل إشهار للمبادرة وكان ذلك في يونيو ٢٠١١ في قاعة الأرجوانة في مدينة كريتر، أشركناهم معنا في المبادرة كأعضاء بهدف جمع الأحزاب والحراك على طاولة واحدة، للاتفاق على تنفيذ المبادرة لتحقيق الحماية الأمنية والخدمية لعدن بعد انهيار النظام ومؤسساته في عدن والمدن المجاورة، لعبت المبادرة دورا في تشكيل اللجان الشعبية الأمنية لحماية المدينة وأمن الناس، واللجان الشعبية المدنية والخدمية لحماية مؤسسات الدولة وضمان استمرار الخدمات، وأتذكر أن الاجتماعات

كانت تقام أما في مقر الحزب الاشتراكي في المعلا أو في مقر اللجنة الوطنية للحوار في خور مكسر، أو في مقر اتحاد الأدباء بخور مكسر أيضا، كان معنا علي منصر وناصر الطويل ومحمد ناصر شراء وجنيد الجنيد ومنصور اغبري وسالم الهامل وفضل علي عبدالله وعمرو الإرياني وميفع عبدالرحمن وآخرون، شغلنا الأحزاب والمثقفين والمبدعين وأشركنا الجميع داخل المبادرة من أجل عدن أولا ثم المناطق والمدن الأخرى، حيث انتشرت التجربة في عدن ونجحت حتى تم بعدها تعميم المبادرة على محافظات مختلفة منها أبين وتعز وصنعاء ولحج وغيرها.

كما أسسنا مركزا إعلاميا في المنصورة أنا والزميل مشعل الخبجي بدعم من الحزب الاشتراكي وحزب الرابطة، وأصدرنا نشرة الشهداء، كانت تتناول أخبار الثورة في عدن وفي ساحة المنصورة وأيضا أطلقنا صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي لنشر أخبار وأنشطة الثورة، والحفاظ أيضا على زخم الحراك ومطالبه في تلك الفترة، كما أسست موقع «المدينة أونلاين الإخباري» بدعم من الأستاذ عدنان الكاف، حفظه الله.

بعد ثلاثة أشهر من انطلاق الثورة رزقت بمولودة جديدة اسميتها «بيان»، فقال لي أحد الأصدقاء معلقا «البيان الأول للثورة».

وفي منتصف نفس العام أيضا ٢٠١١ كنا نعقد اجتماعات مستمرة في منزل أمين عام حزب الرابطة محسن بن فريد وذلك لتشكيل دعم للثورة الشبابية، إذ كان حزب الرابطة أول الأحزاب المنظمة للثورة، كنا نبحث عن صيغة لتشكيل هيئة لدعم الثورة، وفي أحد الاجتماعات تقدمت بمقترح لتشكيل الهيئة الوطنية لدعم ومساندة الثورة الشعبية فتم اعتمادها من قبل الحاضرين، ويومها تم اختيار ياسين مكاوي – مستشار رئيس الجمهورية لاحقا – رئيسا لتلك الهيئة، وكنت أنا مسؤولا إعلاميا لها أقوم بكتابة الأخبار والبيانات والبلاغات والخطابات وغيرها.

بعد سيطرة «الإصلاح» على السلطة ظهرت شعارات غبية من قبيل أن الحراك انتهى، وأن سقوط «صالح» يعني عودة الجنوب إلى صنعاء، وغيرها من الشعارات غير الحصيفة، وهو ما جعل الحراك يعود بكل قوة خصوصا بعد انتقال قياداته من الأرياف في ردفان ويافع والضالع والصبيحة إلى عدن، وهناك عقدت المؤتمرات ونظمت المسيرات

والمليونيـات بصـورة أكـبر مـن ذي قبـل.

بسـقوط «صالـح» وأجهزتـه الأمنيـة في عـدن والجنـوب تقـدم الحـراك خطوة إلى الأمـام، لقـد كانـت خطـوة مهمـة، وكنـا نـدرك أن خطـوات سـوف تتبعها حتـى يتمكـن الحـراك ويضـع يـده عـلى الجنـوب بالكامل.

في نوفمـبر ٢٠١١ دعينـا للمشـاركة في مؤتمـر القاهـرة الـذي عقـد برعايـة الرئيسـين عـلي نـاصر محمـد وحيـدر أبوبكـر العطـاس، وكانـت تلك السـفرة الثانيـة لي إلى مـصر، غادرنـا عـدن إلى صنعـاء بـرا لعـدم وجـود طائـرة مـن عـدن إلى القاهـرة مبـاشرة، كنـا في بـاص يصـل عددنـا إلى عشريـن شـخص مـن قيـادات ونشـطاء الحـراك، كان معنـا الدكتـور عبدالحافـظ باحشـوان والقيـادي الشـاب في الحـراك عبدالـرؤوف السـقاف وآخريـن.

تحركنـا مـن عـدن بعـد صـلاة المغـرب وفي السـاعة الواحـدة فجـرا وصلنـا صنعـاء، وتوجهنـا مبـاشرة إلى المطـار، وفي السـاعة السادسـة صباحـا أقلعنا مـن صنعـاء صـوب الإسـكندرية كـما أتذكـر، إذ لم يكـن هنـاك طـيران إلى القاهـرة، ومـن الإسـكندرية قطعنـا المسـافة بـرا إلى القاهـرة، حيـث وصلناهـا السـاعة السـابعة مسـاءً مـن اليـوم التـالي، كانـت رحلـة مضنيـة عانينـا فيهـا كثـيرا، وصلنـا الفنـدق السـاعة السـابعة والنصـف مسـاءً، وهنـاك تـم اسـتقبالنا مـن قبـل المنظمـين وتوزيعنـا عـلى الغـرف وكان معـي في نفـس الغرفـة الزميـل العزيـز يـاسر اليافعـي. في اليـوم التـالي بـدأت أعـمال المؤتمـر ولمـدة ثلاثـة أيـام، جـرى مناقشـة وثائـق عديـدة وإقـرار مـشروع الفيدراليـة مـن إقليمـين مـع تقريـر المصـير، أي الفيدراليـة المزمنـة بخمـس سـنوات ثـم تقريـر المصـير، وكان هـذا هـو مـشروع مؤتمـر القاهـرة آنـذاك.

مكثنـا في القاهـرة أسـبوعا، وبعـد انتهـاء أعـمال المؤتمـر خرجنـا لاسـتئجار شـقة في وسـط البلـد وسـكنا فيهـا بمعيـة الزمـلاء ذيـزن مخشـف، وفهمـي السـقاف، رحمـة اللـه عليـه، وعمـرو الإريـاني، أمضينـا وقتـا جميـلا بمعيـة زمـلاء كـثر كانـوا يتواجـدون يومهـا في القاهـرة منهـم الأسـتاذ سـامي غالب وشـفيع العبـد ويـاسر حسـن ونائـف المزاحمـي ويـاسر اليافعـي وآخـرون.

وبينـما كنـت في القاهـرة أعلـن «صالـح» تنحيـه عـن الحكم وتسـليم السـلطة لنائبـه عبدربـه منصـور هـادي، عدنـا عـلى وقـع أحـداث جديـدة، وفي قلـب أحـداث أكـثر سـخونة كنـت أتوقـع اسـتهدافا مـا مـن قبـل قـوى شـمالية بسـبب مشـاركتي في مؤتمـر القاهـرة، وفعـلا أخـبرني صديقـي مـرزوق ياسـين، أحـد أبنـاء تعـز، أن الجماعـة منزعجـين مـن مشـاركتي في مؤتمـر

القاهـرة وربمـا يسـتهدفوني ونصحنـي بالحـذر.

بـدأت صحتـي في التحسـن نسـبيا في تلـك الأثنـاء وبـدأت بالتحـرك أكـثر في عـدن ولحـج وأحيانـا في أبـين وتعـز. قبـل زيـارتي لتعـز في ديسـمبر ٢٠١١ والتـي كانـت مقـررة في الصبـاح تعرضـت سـيارتي لنـزع أربعـة بلتـات (براغـي) الإطـار الأيمـن والإبقـاء عـلى واحـد فقـط، والمصادفـة أن السـفرة تأخـرت إلى اليـوم التـالي، لكنـي كالمعتـاد ركبـت سـيارتي وعملـت جولـة في عـدن وعنـد الظهـر سـمعت صوتـاً مـن مقدمـة السـيارة ولم أعـرف السـبب فاسـتدعيت مهندسـا ميكانيـكا فاكتشـف الأمـر وأخـبرني مبـاشرة بقولـه: «هـل لديـك أعـداء؟.. كانـوا يشـتوا يجزعـوك»..

كان الهـدف مـن كل مـا حـدث للسـيارة هـو التسـبب بحـادث مـروري في الطريـق ربمـا تنقلـب السـيارة ويحـدث لنـا مكـروه، تجاوزنـا الأمـر وفي اليـوم التـالي غـادرت إلى تعـز برفقـة الزميـل سـعيد الصـوفي لزيارة سـاحة الحريـة والالتقـاء بشـباب الثـورة.

في بدايـة العـام ٢٠١٢ كـما أعتقـد اسـتدعاني الأسـتاذ هشـام باشراحيـل عـبر الأسـتاذ محمـد مخشـف، ذهبـت برفقـة مخشـف إلى الأسـتاذ هشـام في منزلـه بكريـتر وكان في تلـك الفـترة قـد اشـتد بـه المـرض، طلـب منـي الأسـتاذ هشـام العمـل معـه في صحيفـة الأيـام كسـكرتير تحريـر، إذ كان قـرر إصدارهـا في أقـرب وقـت مـن ذلـك العـام، وافقـت طبعـا، فـ«الأيـام» مدرسـتي الأولى وفيهـا تعلمـت الحـروف والكلـمات الأولى بعـالم الصحافـة، تكلمنـا عـن عـدن وعـن الجنـوب وعـن الثـورة، كان هشـام ممتنـا لي بسـبب دوري في الثـورة ضـد صالـح الـذي يعتـبره عـدوه الأول، لكن الاسـتاذ هشـام اشـتد بـه المـرض وغـادر عـدن إلى ألمانيـا للعـلاج وتـوفي هنـاك، رحمـة اللـه عليـه، فتأجـل موعـد إصـدار الصحيفـة. بعـد يومـين مـن لقـائي بالأسـتاذ هشـام تعرضـت سـيارتي للاعتـداء حيـث تـم تكسـير الزجـاج الخلفـي بالكامـل، أمـي هـي مـن اكتشـفت الحادثـة في الصبـاح وأخبرتنـي، تعاملـت مـع الأمـر بـكل بـرود، بعـد أيـام أخـبرني أسـتاذ في جامعـة عـدن بـأن حزب الإصـلاح هـو مـن قـام بتحطيـم زجـاج السـيارة بسـبب عمـلي المرتقـب في «الأيـام» وبسـبب حديثـي عـن اسـتعادة دولـة الجنـوب، لم أتكلـم مـع جماعة الإصـلاح في عـدن اعتـبرت الأمـر وكأنـه لم يكـن وأغلقـت الموضـوع، والمفارقة أنـه لم يكـن معـي مـال لإصـلاح الزجـاج غـير أن الأسـتاذ نزيـه الشـعبي مدير عـام الاسـتثمار في لحـج يومهـا تـبرع بالمبلـغ وتـم إصـلاح زجـاج السـيارة، وكانـت تلـك هـي الحادثـة الثالثـة التـي تتعـرض فيهـا سـيارتي

للتخريـب والتكسـير في عـدن وجـوار المنـزل بخـور مكسر.

في منتصـف العـام ٢٠١٢ أيضـا شـاركت في الإعـداد والتحضـير لتأسـيس المجلـس الأعـلى لأبنـاء وأهـالي عـدن، كنـا نحـضر الاجتماعـات في منـزل أمين عـام الرابطـة محسـن بـن فريـد أو في منـزل منصـب عـدن العيـدروس، ويوم إعـلان إشـهار المجلس كلفـت بإعـداد كلمـة شـباب الثـورة وإلقائهـا أمـام الحفـل الكبـير في قاعـة عـدن مـول بكريـتر، وفعـلا أعـددت الكلمـة وألقيتها بأسـلوب رائـع نـال استحسـان الجمهـور الـذي كان يـدوي بالتصفيـق عنـد نهايـة كل فقـرة مـن فقـرات الكلمـة، وبعـد عـودتي إلى المنـزل اتصـل بي كثـيرون يهنئـونني عـلى إلقـاء الكلمـة وكان مـن بينهـم الرئيـس الجنـوبي الأسـبق عـلي نـاصر محمـد الـذي اتصـل مـن القاهـرة.

كانـت الكلمـة متزنـة دعيـت فيهـا شـباب الثـورة إلى التماسـك والتلاحـم لإنجـاز أهـداف الثـورة كـما دعيـت فيهـا الأحـزاب والقـوى السياسـية إلى التقـارب للحفـاظ عـلى عـدن وأمنهـا واسـتقرارها والحفـاظ عـلى الثـورة والحفـاظ عـلى مدنيـة عـدن، وتغليـب الحـوار عـلى العنـف في حـل كافـة القضايـا السياسـية، وقدمـت مـن خلالهـا خارطـة طريـق للثـورة والقـوى السياسـية، وبعـد إلقـاء الكلمـة بأيـام اسـتهدفت في صحتـي بصـورة كبـيرة مـن ذي قبـل عـبر أسـاليب قـذرة وخبيثـة عانيـت مـن جرائهـا طويـلا فيـما بعـد، لكـن ذلـك لم يثننـا عـن مواصلـة المشـوار، رغـم مـا كان يرافـق ذلـك أيضـا مـن حمـلات تشـويه وتحريـض مـن قبـل قـوى خارجيـة وداخليـة.

كنـت بنهايـة العـام ٢٠١٢ قـد فرغـت مـن تأليـف كتـابي الأول «أفـكار في الثـورة والتغيـير»، وعملـت عـلى إعـداده وتجهيـزه للطباعـة لكـن لم أجـد مـن هـو متحمـس لدعـم طباعـة الكتـاب رغـم عـرض الموضـوع عـلى جهـات عديـدة، وفي منتصـف ٢٠١٣ وافقـت الهيئـة العامـة للكتـاب، التـي كان يرأسـها آنـذاك الأسـتاذ عبدالبـاري طاهـر، عـلى طباعـة الكتـاب بعـد إجازتـه واعتـماده مـن قبـل المختصـين في الهيئـة، وتـم أخـذ نسـخة إلكترونيـة منـه لكـن دخـول الحوثيـين إلى صنعـاء فيـما بعـد أعـاق طباعتـه، وهنـاك نسـخة مـن الكتـاب إلكترونيـة موجـودة عـلى موقـع مركـز مسـارات للاسـتراتيجيا والإعـلام لمـن أراد تنزيلـه والاطـلاع عليـه..

* * *

مرحلة هادي

في نهاية العام ٢٠١٢، وقد كان عبدربه منصور هادي رئيسا، زرت تعز ثم توجهت صوب صنعاء، وهناك زرت ساحة التغيير، وزرت شباب الثورة وتحدثنا إليهم في أمور كثيرة عن الثورة والدولة القادمة، كما داومت على الصلاة كل جمعة في شارع الستين حيث يحتشد الثوار أسبوعيا لصلاة الجمعة هناك، نزلت في صنعاء عند صديقي أحمد جعفان الصبيحي الذي استقبلني بكل ترحيب، وزرت برفقته عددا من الأصدقاء في مناطق مختلفة من صنعاء، لم يكن «الإصلاح» راضيا عنا، الغرور ركب الحزب واعتقد بأنه هو الحاكم المطلق بأمر الله بمجرد وصوله للسلطة، أقصى كل الشباب الذي كان لهم دور حاسم ومؤثر في الثورة – وأنا أحدهم – استبدلهم بشباب الطاعة العمياء.

كما التقيت في صنعاء بالأستاذ نصر طه مصطفى، وقد أصبح مديرا لمكتب رئاسة الجمهورية، زرته أكثر من مرة للمقيل في منزله، ولأنه رجل فاضل فقد تقدم بطلب للرئيس هادي بصرف مبلغ مالي لي كمساعدة علاجية، التقيت أيضا الدكتور عبدالله العليمي الذي كان يومها رئيسا لدائرة السلطة المحلية في مكتب الرئاسة، وأيضا التقيت الأستاذ سعيد ثابت مدير مكتب قناة الجزيرة في اليمن، والتقيت شبابا وأصدقاء كثيرين من كل المشارب والألوان، منهم سامي غالب، توفيق عبدالوهاب، عبدالسلام محمد، عادل الأحمدي، سمير جبران، نبيل البكيري، عدنان الصنوي، طه العامري وعبدالله المجيدي وآخرون من الأصدقاء الكثر ومن شباب الثورة.

كنت أحيانا أسكن أيضا في فندق سام في قلب منطقة التحرير في غرفة كان يدفع إيجارها صديقي الأثير وداد سليم الذي كان يعمل مديرا في الفندق آنذاك.

قضيت في صنعاء شهرا ونيف، كانت الناس تسألني عن مستقبل البلد، وكنت الحقيقة متشائما من إدارة هادي والإصلاح للبلد، قلت لهم الوضع صعب ومعقد، والثورة تم السطو عليها،مع أني قد تنبأت في إحدى جلسات المقيل حينما أخبرني أحد الأصدقاء بأن الجماعة في صنعاء غير راضين عني وربما يؤذوني، فقلت له قريبا سيهربون من صنعاء بالعبايات وملابس النوم وسوف يدخل الحوثي إلى غرف

نومهم، كان ذلك في منتصف ٢٠١٣ حينما زرت صنعاء للمرة الثانية بعد انطلاق الثورة، والحق يقال أني تنبأت بذلك من وقت مبكر أيضا، وتنبأت بالثورة وبشرت بها قبل سنوات طويلة من حدوثها، وعندما سألني صديق بينما كنا في مجلس صحيفة الشورى في منطقة الدائري بصنعاء العام ٢٠٠٨: إذا انفجرت الثورة ضد صالح ما الذي سيحصل بعدها؟ قلت له سيسقط صالح لكنه سوف يتمرد وسيتحالف مع الحوثيين لتفجير حرب في اليمن كلها، فقال وماذا بعد؟ قلت له سيتدخل الإخوة العرب ضد الحوثي وصالح وسوف يستخدمون الطائرات وسوف ينهزم صالح والحوثي في الجنوب ثم سيُقتل صالح في صنعاء فيما بعد، كان ذلك التنبؤ قبل سنوات من الثورة وسنوات طويلة من الحرب ومقتل صالح، تنبؤات مبنية على إشارات وذبذبات تأتي من السماء وقراءة دقيقة لمسار الأحداث.

في منتصف ٢٠١٣ عينت مديرا لمكتب صحيفة الثورة الرسمية في عدن، عدت من صنعاء إلى عدن وباشرت عملي لمدة عام ونيف تقريبا وغادرت المكتب بعد دخول الحوثيين إلى صنعاء في ٢٠١٤، حيث سيطر الحوثيون على مؤسسة وصحيفة الثورة، وهو الأمر الذي دفعني لترك العمل فيها والعودة إلى المنزل، خرجت من الصحيفة كما دخلت لا أملك شيئا غير الراتب الذي توقف بعد ترك العمل في الصحيفة، رغم أننا حافظنا على ممتلكات المؤسسة من أراضٍ ومبنى وأكشاك وغيرها وسلمناها للإدارة الجديدة.

في أواخر ٢٠١٣ أيضا استداعني نجل الرئيس هادي «جلال» إلى صنعاء فغادرت عدن إلى صنعاء والتقيته في منزله بشارع الستين، وهناك طلب مني العمل معهم في المجال الإعلامي مقابل دعم مادي سوف يقدمه لي، اتفقنا على العمل وعدت إلى عدن، كان لدي موقع إخباري على الإنترنت واتفقنا على نشر الأخبار والمقالات التي ترسل منه، كان جلال يشرف على إدارة مواقع إخبارية كثيرة، والحق يقال – وهذا كلام للتاريخ – فإن «جلال هادي» كان مهتما وغارقا في الصراع مع خصوم والده ومن يعتقد أنهم خصوم مفترضون، ولم يكن مهتما بالبلد والخدمات ومعاناة الناس، وعندما كنا نتحدث معه عن ذلك كان يقول لنا لا علاقة لكم بذلك، رغم أن خصوم والده تسللوا فيما بعد من هذا الباب للانقضاض عليه في صنعاء، وكلنا يتذكر واقعة الجرعة السعرية على المشتقات النفطية التي مهدت الطريق للحوثي للوصول

إلى صنعاء، أما نحن فلم نتوقف عن الكتابة عن أوضاع البلد وعن الفساد وسوء الإدارة في مقالات كانت تنشر في الداخل والخارج أو الحديث عبر القنوات الفضائية أو عبر المواقع الإخبارية غير مكترثين بأحد.

في أحد الأيام من منتصف ٢٠١٤ كنت في المنزل أتناول القات وكان عندي صديق عزيزي من ردفان ناشط في الحراك الجنوبي، فسألني: متى سيتمكن الجنوبيون من استعادة الجنوب؟ قلت له سيحدث ذلك ولكن بعد حرب دامية في اليمن ستصل إلى عدن، بعدها سيتمكن الجنوبيون بمساعدة الأشقاء العرب من تحرير عدن والجنوب والسيطرة عليه وبناء جيش وأمن جنوبي، مرت الأيام مسرعة حتى جاءت الحرب في مارس ٢٠١٥، وحدث ما تنبأنا به تماما.

كنت منذ بداية الثورة الشبابية قد بدأت أظهر على القنوات الفضائية معلقا ومحللا سياسيا على الأخبار والأحداث في اليمن لاسيما في عدن، كانت البداية من قناة الجزيرة في مارس ٢٠١١ عبر الزميل العزيز فضل مبارك مراسل القناة في عدن الذي رشحني للحديث عبر القناة، ثم توالى ظهوري في عدد آخر من القنوات منها «الحدث» و»العربية» و»روسيا اليوم» و»الحرة» وغيرها، وكانت تلك تجربة جديدة ومهمة بالنسبة لي، أفادت بشكل كبير أثناء الحرب على عدن..

* * *

الفصل الثاني

(سنوات الحرب الصعبة)

الهروب الكبير

عندما هرب الرئيس هادي من صنعاء إلى عدن قبل حرب ٢٠١٥ بنحو شهر ونيف تقريبا وأصبح يقيم في قصر المعاشيق، كنت دائم الظهور على القنوات الفضائية العربية والدولية معلقا على الأحداث، حيث دخلت البلد في تلك الأثناء أجواء الحرب الحقيقية. وعندما هرب وزير الدفاع اللواء محمود الصبيحي أيضا بعد هادي من قبضة الحوثيين في صنعاء إلى قريته في الصبيحة، بدت الأمور تتفاعل بصورة أكبر، وأخذ «صالح» يطلق التهديدات من صنعاء بصورة يومية باجتياح عدن واعتقال من أسماهم «الانفصاليين» أو إخراجهم عبر البحر، حد قوله..

يوم وصل الصبيحي إلى الجنوب ظهرت تقريبا ست مرات على القنوات الفضائية متحدثا عن كيفية هروبه، وما يمكن أن يحدثه ذلك من تحولات ومتغيرات في مسار المعركة التي باتت وشيكة. أتذكر أن الأستاذ حمود منصر مدير مكتب العربية والحدث في اليمن قد استضافنا أربع مرات في ذلك اليوم، في الصباح والمساء، لقد كان الأمر مهما لشخص مثلي واقع في قلب الحدث أن يظهر عبر الفضاء متحدثا للناس. كنت أسكن في تلك الفترة في حي النصر بمديرية خورمكسر، بالقرب من معسكر الأمن المركزي الذي شهد انفجار أول شرارة للحرب بعد إعلان قائد المعسكر عبد الحافظ السقاف انضمامه للحوثيين وعصيانه لأوامر الرئيس هادي.

تمرد السقاف على هادي وقام بنشر قوات الأمن المركزي في أماكن مختلفة من عدن فيما يشبه إعلان الحرب بعد تلقيه معلومات من صنعاء بأن تحالف صالح والحوثي قادم إلى عدن، لكن السقاف وقع في سوء تقدير الموقف لاسيما بعد تكليف هادي للواء محمود الصبيحي بالتصرف مع السقاف. قاد الصبيحي المعركة بنفسه ضد السقاف وقوات الأمن المركزي، وبدأت المعركة من مطار عدن الذي احتله السقاف بقواته، (يقع المطار بالقرب من المنزل الذي كنت أسكنه وكان باستطاعتي مشاهدة ما يحدث فيه من سطح المنزل)، دارت المعركة منذ الصباح الباكر، استخدمت فيها كل الأسلحة، لقد صحونا على أصوات الانفجارات والاشتباكات التي بدأت في المطار وامتدت إلى معسكر الأمن المركزي في حي النصر، وبحلول الساعة الخامسة عصرا كانت المعركة قد انتهت بسيطرة قوات الصبيحي على المطار وعلى

معسكر الأمن المركزي بعد أن عاش السكان في محيط المطار وحي النصر يوما رهيبا وصعبا.

لقد كان لنا نصيب من تلك المعركة، حيث اخترقت رصاصتان نافذة البيت وسكنتا في الجدار الداخلي للديوان، وحينما بدأ الناس بالتوافد إلى معسكر الأمن المركزي في عملية نهب واسعة للسلاح والموجودات فيه خرجت من البيت مستطلعا فوجدت اللواء محمود الصبيحي أمامي على متن الدبابة التي دكت المعسكر وكانت تقف أمامه على الشارع المؤدي إلى جولة الرحاب. صافحت الصبيحي ثم دلفت إلى داخل المعسكر لالتقاط عدد من الصور، كان السقاف قد غادر المعسكر هاربا قبل اقتحامه بساعات، حيث تكفل محافظ لحج يومها أحمد المجيدي بتهريبه عبر منطقة الصبيحة في الطريق الممتدة إلى تعز.. انتهت أسطورة الأمن المركزي في عدن في ساعات، حيث كان من أكثر الأجهزة الأمنية بطشا وتنكيلا بالناس لاسيما قيادات وناشطي الحراك الجنوبي السلمي.

بعد التخلص من الأمن المركزي في عدن بدأ تحالف الحوثي صالح يحشد قواته صوب محافظة إب ثم تعز استعدادا لاقتحام الجنوب.

للعلم، تعود ملكية العمارة السكنية المكونة من أربعة أدوار، والتي كنت أسكن في إحدى شققها بالدور الثالث، الواقعة في حي النصر بخورمكسر، لأحد الضباط في الأمن من صنعاء القديمة يدعى «الكردي». عشت ثلاث سنوات رهيبة وصعبة من ٢٠١٣ إلى ٢٠١٥، عانيت فيها من الأذى الكثير، حيث كانت تصلني رسائل تهديد مكتوبة بصورة شبه يومية وتوضع عند باب الشقة وأحيانا يتم وضع رصاصات في ظرف بنفس المكان، في محاولة لإرهابي مع أسرتي بصورة قذرة. صمدنا في مواجهة ذلك ثابتين على المبدأ والموقف دون استسلام أو خضوع، وفي تلك الفترة رزقت بابنتي الثالثة التي أسميتها «دولة».

في ٢٣مارس ٢٠١٥ – قبل اندلاع الحرب بثلاثة ايام – تواصلت مع عدد من الأصدقاء واتفقنا أن نقوم بزيارة إلى العند وكرش لاستطلاع الوضع هناك، وفي اليوم التالي تحركنا بسيارتي رفقة الأصدقاء نايف المزاحمي وعواد الشعبي وماهر الشعبي، انطلقنا في صبيحة ٢٤ مارس صوب لحج في الطريق إلى العند وقبل وصولنا إلى العند قابلنا اللواء محمود الصبيحي أمامنا في الطريق مع أفراد من جنوده، كان يمشي

راجلا، بدا وكأنه كان يقوم ببعض الترتيبات العسكرية. تركنا اللواء الصبيحي وتقدمنا صوب العند وكرش، وبعد ساعة تقريبا لحق بناء الصبيحي إلى نفس المكان الذي توقفنا فيه، وكانت هناك كتيبة عسكرية متواجدة في المكان بين العند وكرش، وقف الصبيحي متحدثا لقائد الكتيبة بصوت حاد ومرتفع كان سيودي إلى الاشتباك بينهما لولا تدخل الجنود الذين كانوا في المكان، كان قائد الكتيبة من محافظة اب ويشكو للصبيحي من عدم وجود سلاح وذخيرة كافيين لمواجهة دخول قوات صالح والحوثي، وكان الصبيحي يتحدث بصوت مرتفع متهما قائد الكتيبة بإخفاء السلاح والذخيرة وعدم وجود الرغبة لديه في المواجهة.

كان رفقة الصبيحي في المكان محافظ لحج أحمد المجيدي وأمين عام المجلس المحلي بالمحافظة علي ماطر، كانوا يرتدون لباس مدني تقليدي، كان المجيدي في السيارة صامتا تبدو عليه ملامح الخوف والقلق، تقدمت نحوه وصافحته وسألته: كيف الأمور؟ قال: إن شاء الله تمام.

بعد نصف ساعة توافد إلى المكان عدد من المواطنين يطلبون التسليح لمواجهة الحوثي والاستعداد للمعركة، لكن مرافق الصبيحي ويدعى «شرف» رفض ذلك وقال بصوت مرتفع: لن نسلحكم، لا يوجد لدينا سلاح.

تركنا الصبيحي ورفاقه والمواطنين الذين توافدوا للمكان وقفينا عائدين صوب عدن، وفي الطريق أخبرت الزملاء قائلا: «سيدخل الحوثي إلى عدن بكل سهولة لو أراد، لا يوجد ما يوحي بأن هناك استعدادات لمعركة كبيرة قد تحدث»، فرد علي الزملاء: «والصبيحي أيش يعمل؟»، قلت لهم وضعه صعب وربما يتعرض لشيء ما، أشعر بالقلق عليه».. كانت تلك توقعاتي بعدما شاهدت أهم منفذ حدودي يربط بين تعز وعدن وهو خالي الوفاض من قوات مدربة ومسلحة مستعدة لخوض معركة مرتقبة.

في ليلة ٢٥ مارس أعلن تحالف الحوثي صالح حربه على عدن وبدأت قواتهم تتحرك صوب الشريجة كرش العند، وفي اليوم التالي ليلة ٢٦ مارس أعلن التحالف العربي بقيادة السعودية تدخله في الحرب إلى جانب الشرعية، وبدأ قصف الطيران على صنعاء وتعز وغيرهما. وفي

الساعة الواحدة فجرا اتصلت بي قناة الجزيرة للتعليق على ما يحدث من حرب وكان على الشاشة المذيع محمد كريشان، تحدثت بكثير من التفاصيل متوقعا حربا طويلة في عدن واليمن ككل، وفي الصباح الباكر صحونا وقد تمكنت قوات صالح والحوثي من الوصول إلى عدن، عملت جولة في عدن فشاهدت قواتهم بجانب المطار من الخط البحري او ما يعرف بخط الجسر، وفي بعض الجولات في عدن.. قمت بسحب مبلغ مالي من الصراف الآلي وعدت إلى المنزل الذي كانت تتواجد فيه أمي وعمي الكفيف، أخذتهما على متن سيارة قبل حلول الظهيرة وتوجهت بهما إلى القرية، خصوصا عندما بدأ قصف الطيران في المطار وأماكن قريبة من المنزل، غادرنا عدن، كنت متخفيا قدر الإمكان أثناء العبور في الجولات التي تتواجد فيها قوات صالح والحوثي، خصوصا في الطريق الممتد من الشيخ عثمان إلى منطقة الوهط، استطعنا النفاذ إلى خبت الرجاع بسلامة الله، ثم اتجهنا صوب طور الباحة والقرية التي وصلناها قبل حلول المساء.

بعد خروجنا من المنزل تعرض مباشرة للاقتحام من قبل قوات صالح والحوثي، حيث تم كسر باب الشقة والدخول إليها وتمت سرقة أسطوانات الغاز وشاشة التلفاز والعبث بالمكتبة التي كانت تحوي كتبا ووثائق مهمة، ثم مكث الجنود في الشقة والعمارة بالكامل واستخدموها كموقع عسكري لضرب المطار ومناطق مجاورة له، إلى أن تمكن الطيران من قصف العمارة بالكامل فيما بعد وما تزال حتى اليوم شاهدة على ذلك القصف الذي تسبب بانهيار الدور الرابع وتشقق جدران الشقق السفلى.

وأقول هنا شهادة للتاريخ بأنني عندما عدت من زيارتي لكرش والعند تواصلت مباشرة مع جلال هادي نجل الرئيس وحدثته عما شاهدت وسمعت، وقلت له إن الوضع صعب وخطير ولا توجد هناك استعدادات عسكرية كافية للدخول في حرب أو لصد الاجتياح، وطلبت منه تحريك الأمور، لكنه كان يقرأ رسائلي ولا يرد عليها. وفي اليوم التالي ٢٥مارس دخلت المليشيات وقوات صالح بكل سهولة إلا من مقاومة بسيطة في معسكر عباس ومن قبل بعض المواطنين بأسلحتهم الشخصية في كرش والعند، ويومها اعتقل اللواء محمود الصبيحي بكل سهولة بعد تعرضه لكمين وهو في طريقه إلى العند، أما معسكر العند فقد وقع في فخ الخيانة، حيث نهبت أسلحته ونزعت الإبر

الخاصة بدفع قذائف الدبابات والأسلحة الثقيلة، وتمت السيطرة عليه دون مقاومة تذكر.

وفي ذلك اليوم غادر الرئيس هادي عدن صوب الرياض برا مع عائلته تاركا المقاومة التي بدأت تتشكل في عدن من دون سلاح بينما السلاح كان متوفرا ومتواجدا في مخازن جبل حديد، وهو ما دفع المواطنين إلى اقتحام المخازن في الجبل فيما بعد للحصول على السلاح والذخيرة لمواجهة المليشيات التي كانت قد وصلت عدن.

أما أنا فقد حاولت العودة من القرية إلى عدن لكني لم أستطع بسبب سيطرة قوات صالح والحوثي على مداخل ومخارج الصبيحة مع لحج وعدن، واضطررت للبقاء في القرية، وهناك كونت مركزا إعلاميا للتواصل مع القنوات العربية والدولية والمحلية لنقل ما يحدث في عدن والجنوب من حرب، وكنت دائم التواصل مع قادة ميدانيين على أرض المعركة في عدن أبرزهم نايف البكري قائد مجلس المقاومة، واللواء جعفر محمد سعد، رحمة الله عليه، وآخرون في قلب المعركة، وأصدقاء وزملاء كانوا في عدن ولحج والعند وأبين والضالع وغيرها، ما جعلني فعلا في قلب الحدث وناقلا له عبر الفضاء ليصل للعالم كله.

في القرية وفي الأيام الأولى للحرب كان التيار الكهربائي متوفرا وكنا نتابع الأحداث عبر التلفاز، كان وجود التلفاز مهم للحصول على المعلومات ومتابعة مجريات الأحداث، بالإضافة إلى المعلومات التي كنت أحصل عليها من المصادر الميدانية.. لكن التيار الكهربائي لم يستمر، إذ هي أيام إلا وتم ضرب محطة مأرب الكهربائية من قبل الحوثيين لينقطع التيار في مناطق كثيرة في الصبيحة والمناطق المجاورة لها في محافظتي لحج وتعز ويتوقف التلفاز عن العمل في المنزل الريفي بقرية شعب.. لكن لحسن الحظ فقد ساهم جاري العزيز عبدالكريم صالح بتوفير التلفاز في منزله لمتابعة الأحداث عبر منظومة الطاقة الشمسية، وأحيانا كان يقوم بتشغيل مولد كهربائي خاص كان يمتلكه من عهد والده، رحمة الله عليه، خصوصا في المساء.

كانت هناك وسيلة أخرى لمتابعة الأحداث أيضا غير التلفاز وغير المصادر وهي النافذة التي تتجلى في السماء، كنت أتخيل الأحداث وسير المعركة في عدن وتصلني إلهامات من أعلى على شكل ذبذبات أو تخاطر، وهو الأمر الذي جعلني أتنبأ بسير المعارك ونهايتها، حتى

أنني أخبرت الوزير نايف البكري الذي كان قائدا للمقاومة في عدن آنذاك - في اتصال هاتفي - في منتصف شهر رمضان ٢٠١٥ بأن النصر قريب جدا وخلال رمضان، بينما بدا هو أكثر تفاؤلا بذلك أيضا..

وفي اتصال هاتفي مع مراسل «الجزيرة نت» أخبرته بملامح من رؤيتي للخطة التي يمكن من خلالها تحقيق النصر على الحوثيين وصالح في عدن ولحج، وعندما سألني زملائي في القرية كيف يبدو مسار المعركة؟ قلت لهم النصر قريب وفي رمضان، وأن قوات الحوثي وصالح في المعلا والتواهي وكريتر أصبحت منهكة ومحاصرة من جهة خورمكسر، وهناك تقدم للمقاومة من جهة البريقة والمنصورة والشيخ عثمان، وقد تمكنت المقاومة من قطع الإمدادات على قوات صالح والحوثي من جهة أبين ولحج ودار سعد، ولم يعد أمامها إلا الاستسلام في كريتر والمعلا والتواهي أو القتل والتصفية.

وفي اليوم التالي تلقيت اتصالا من محمد البخيتي - أحد قيادات الحوثي - طالبا مني العمل على فك الحصار على قواتهم في كريتر، قائلا «نحن نزلنا نحارب الدواعش والتكفيريين وليس أبناء عدن أو الجنوب»، فقلت له: «من يقتل هم أبناء عدن والجنوب، ومن يقود المقاومة هم أبناء عدن والجنوب، لا يوجد دواعش ولا تكفيريين، عليكم إيقاف الحرب أو الاستسلام»، قال افعل شيئا، قلت له لا أستطيع الان، عليك التواصل مع القيادات في الميدان فالأمر متروك لهم في هذه اللحظات، وانقطع الاتصال.

وبعد أيام قلائل، وتحديدا في ٢٧ رمضان من عام ٢٠١٥، تحقق النصر بالطريقة التي تنبأت بها، كان نصرا مؤزرا، لم يكن انسحابا لقوات الحوثي وصالح أو اتفاق من تحت الطاولة كما حاول البعض تصويره.. لقد حقق أبناء عدن والجنوب النصر الأول على جماعة الحوثي وصالح في عدن بدعم كبير من التحالف العربي.

بعد ذلك انهارت قوات صالح والحوثي في لحج وأبين والعند وانهزمت، وقبل ذلك انهزمت في الضالع على يد عيدروس الزبيدي ورفاقه الذين توجهوا فيما بعد للمشاركة في تحرير قاعدة العند، ثم توجه القائد عيدروس بقواته إلى عدن لتأمينها وحمايتها.

* * *

عدن بعد التحرير.. في قلب أحداث جديدة

بعد انقضاء رمضان وإجازة عيد الفطر توجهت مباشرة صوب عدن، وهناك نزلت في منزل صديقي علي عبدالله صالح المحامي الردفاني في مدينة الصالح، وكنت قد تعرفت عليه قبل عامين من ذلك اليوم، وكان أحد أهم من تواصلت معهم أثناء الحرب بصورة يومية، كان قريبا من الأحداث ومشاركا فيها فأصبح مصدرا موثوقا للمعلومات المتبادلة، كانت سيارتي الصغيرة قد انتقلت إليه عبر الصديق رامي عثمان الشعبي فأصبحت أمام العمارة التي يسكنها، وصلت إلى مدينة الصالح ظهرا قادما من طور الباحة عبر طريق الرجاع عمران، ومباشرة قمنا بعمل زيارة تفقدية لعدن لمشاهدة آثار الحرب ثم عدنا لتناول الغداء في منزل الصديق المحامي علي الردفاني ثم شرعنا في تناول القات. مكثت عنده تقريبا يومين، كنا ننام في سطوح العمارة بسبب عدم وجود الكهرباء في مدينة الصالح، إذ يعتمد صاحبنا المحامي على الطاقة الشمسية في تشغيل مروحتين لأسرته وطفلته الصغيرة «لين».

بعد يومين قدم إلينا الصديق عواد الشعبي عصرا لتناول القات معنا ثم توجهنا في المساء إلى منزله في كابوتا بالمنصورة، كان المكان قريبا من المدينة ومن الأحداث اليومية التي تحدث فيها، وقريبا أيضا من مكتب شركة «يمن لايف» التي كنا نطلع منها على القنوات الفضائية وكان يقع في منطقة التقنية المجاورة. انهالت علينا طلبات القنوات الفضائية الدولية والعربية في تلك الفترة للحديث عن عدن ما بعد التحرير والحديث إجمالا عن الأحداث في اليمن ككل الذي كان ما يزال يشهد حربا في كثير من المدن لاسيما في الشمال وعلى حدود الجنوب مع الشمال أيضا. كانت مرحلة ما بعد التحرير صعبة للغاية، كنت على تواصل مستمر مع الصديق نائف البكري الذي أصبح محافظا لعدن بقرار جمهوري، دعاني للقائه في مكتبه الذي كان في مبنى كلية العلوم الإدارية بمدينة الشعب، فتوجهنا إلى هناك، عواد وأنا ومعنا الأخ عبدالحكيم الشعبي، لكننا لم نتمكن من مقابلته بسبب ازدحام المكان بالزوار من مختلف المراتب والألوان وبسبب عدم دقة التنظيم الذي صيّر الوضع إلى فوضى، فعدنا باتجاه المنصورة وكان ذلك في منتصف أغسطس من العام ٢٠١٥..

وبينما نحن في الطريق تلقيت اتصالا من السيد المحافظ يطلبني للحضور فورا إلى فندق القصر حيث كان سبقنا من المكتب إلى هناك، قابلناه وتحدثنا عن الوضع فبدا لي أنه متحملا مسؤولية ثقيلة في وضع خطير وصعب.. تكرم المحافظ بصرف بترول ومبلغ مالي لي ثم وقع مذكرة عبدالحكيم الشعبي الموجهة من رئاسة الجمهورية بتعيينه مستشارا في المحافظة واعتمد له متطلبات الوظيفة الجديدة من مرتب ومكافآت وبترول وغيرها، ثم غادرنا المكان صوب المنصورة لتناول الغداء في مخبازة «البهنساء»، وعدت مع عواد إلى منزله للمقيل.

الأيام التي قضيتها في عدن منذ وصولي من القرية كوّنت لدي فكرة عن الوضع وما الذي يحتاجه لإعادة تطبيعه بصورة سريعة والحفاظ على عدن من السقوط مجددا في فخ الاحتراب بين رفقاء المقاومة، أو الاحتراب مع العناصر المتطرفة التي شاركت في المقاومة ثم أرادت إسقاط عدن في يدها ثمنا لذلك.. كان الأمن هو الهاجس الرئيسي لاسيما بعد سقوط مؤسسات الدولة وهروب أجهزة «صالح»، وكانت الخدمات تأتي في المرتبة الثانية ثم العمل الإغاثي وغيرها من الملفات.. لذلك قمت بإعداد مشروع مبادرة لإعادة تطبيع الوضع في عدن، عالجنا فيها مشكلة الأمن، إذ اقترحنا على التحالف العربي بالتعاون مع المقاومة والسلطة المحلية تأسيس أجهزة أمنية جديدة من شباب المقاومة مع الاستفادة من جهاز الأمن العام في عدن، واقترحنا حماية المؤسسات الخدمية والحفاظ على استمرار تشغيلها ووضعنا مقترحات وخارطة طريق لذلك، واقترحنا تفعيل العمل الإغاثي بالاستفادة من الشباب في عدن وخارجها لضمان وصول الإغاثات لأكبر عدد من الأسر الفقيرة والمحتاجة.. كما وضعنا مقترحات بتأسيس وحدات عسكرية تكون نواة لجيش جنوبي قادم، ومقترحات بتفعيل الجانب الإعلامي وغيرها..

تحركنا في البداية صوب الحراك لعرض المبادرة ومناقشتها، فكان أن جلسنا مع قيادة منتدى المنصورة للتسامح والتصالح بقيادة العقيد ثابت أحمد علي وآخرين، فأعجبوا بالمبادرة وطلبوا منا التوجه صوب قيادة التحالف والسلطة المحلية وقائد المقاومة اللواء عيدروس الزبيدي، وهذا في الحقيقة ما كنا نخطط له.. ذيلنا المبادرة باسم مركز مسارات للاستراتيجيا والإعلام ومنتدى التصالح والتسامح، لكن أحد الأصدقاء طلب مني عدم إشراك الحراك في المبادرة «لأن سمعة

الحراك غير كويسة»، كما قال، مؤكدا أن المبادرة لن تلقى قبولا، لكني أصررت على بقاء منتدى التسامح والتصالح ضمن المبادرة، وأخبرته بأن المبادرة هي مقدمة لإعادة تسويق الحراك بصورة إيجابية أمام الداخل والخارج لإحساسي ويقيني الكبيرين بأن السلطة في عدن والجنوب سوف تؤول للحراك فيما بعد أو هكذا علينا أن نعمل.

توجهنا صوب قيادة التحالف بعد التواصل مع مسؤول العمليات في مقر التحالف الذي كان يديره إخواننا الإماراتيون، وكان المسؤول هو الأستاذ محمد الظاهري، شرحنا له المشروع فطلب منا القدوم في اليوم التالي إلى مبنى التحالف الذي كان في البداية في منزل الشيخ صالح بن فريد العولقي في البريقة خلف مستشفى «بي بي» التابعة لمصافي عدن، وكان المبنى جميلا مطلا على البحر، التقينا هناك بـ«الظاهري» وتحدثنا معه وعرضنا عليه المشروع، فأبدى إعجابه بالأفكار والمقترحات واعدا بالعمل عليها، استمر اللقاء قرابة ساعة إلا ربع، ثم غادرنا المكان عائدين إلى المنصورة وكان برفقتي الصديق عواد الشعبي.

في اليوم التالي قدمنا نسخة من المشروع للمحافظ نايف البكري، وفي اليوم الثالث ذهبنا لزيارة قائد المقاومة عيدروس الزبيدي في المنزل الذي كان يسكنه مؤقتا بالقرب من كلية الآداب بخور مكسر، قابلناه وقدمنا له نسخة من المشروع وشرحا عن مكوناته، فأعجب بالأفكار والمقترحات كثيرا ووعد بالتنسيق مع الإخوة الإماراتيين للبدء بالعمل عليه.. التقطنا الصور مع الزبيدي الذي كانت قواته القادمة من الضالع في ذلك الوقت منتشرة في عدن لتأمينها وحمايتها، ثم عدنا قافلين باتجاه المنصورة. ومنذ ذلك اليوم أصبح تواصلي مع الزبيدي مستمرا وساخنا حتى بعد أن أصبح محافظا بعد اغتيال اللواء جعفر محمد سعد المحافظ الثاني لعدن بعد التحرير.

في شهر أكتوبر من نفس العام ٢٠١٥ استأجرت شقة سكنية في حي الإنشاءات بدار سعد مغادرا لمنزل صديقي عواد الذي استضافني لشهر ونيف تقريبا مشكورا.

استقدمت أسرتي من القرية إلى الشقة الجديدة وبدأت مرحلة جديدة من العمل الإعلامي والسياسي، ومرحلة من المضايقات والتهديدات والظروف الصحية المعقدة بفعل جهات اتخذت التخفي وراء أساليبها

القـذرة وسـيلة لإيـذاء الآخريـن بصـورة سريـة لا أخلاقيـة، لكـن إيمـاني كان أكـبر بـأن النـصر لا يكـون إلا مـع الصـبر وتحمـل الأذى و المشـاق.

كان أيضـا مكتـب «يمـن لايـف» انتقـل مـن المدينـة التقنيـة بالمنصـورة إلى مدينـة الانشـاءات بـدار سـعد بجـوار المنـزل الـذي أسـكنه، وعـلى مـدى عامـين إضافيـين كنـت صحفيـا ومحلـلا سياسـيا متألقـا في القنـوات الفضائيـة يشـاهدني النـاس ويصغـون لتحليـلاتي عـن الأحـداث الجاريـة في عـدن ومختلـف مناطـق البـلاد، إذ كنـت دائمـا مـا أتلقـى رسـائل الإعجاب مـن الشـباب والفتيـات والرجـال والنسـاء مـن مختلـف الأعـمار والاهتمامـات والميـول مـن الداخـل والخـارج.. وجـدت نفـسي وخـلال فـترة قصـيرة أظهـر عـلى أهـم البرامـج التلفزيونيـة في قنـوات مشـهورة كبرنامـج «مـا وراء الخـبر» عـلى قنـاة الجزيـرة أو البرنامـج الشـهير الـذي كانـت تقدمـه المذيعـة المتألقـة نجـوى قاسـم، رحمـة اللـه عليهـا، في الثامنـة مسـاء عـلى شاشـة قنـاة الحـدث، وبرامـج سياسـية أخـرى عـلى قنـاتي «روسـيا اليـوم» و«الحـرة» وغيرهـما.

منـذ بدايـة ٢٠١٨ تقلـص حضورنـا عـلى القنـوات الفضائيـة بسـبب أننـا بدأنـا منـذ وقـت مبكـر ننتقـد سياسـة السـلطة الشرعيـة في التعامـل مـع الأوضـاع في العاصمـة عـدن وعمـوم البـلاد، كان الرئيـس هـادي و«الإصلاح» يقـودون البلـد مـن إخفـاق إلى آخـر ويعاقبـون النـاس في عـدن بالخدمـات والوضـع الاقتصـادي المـتردي، كـما بدأنـا ننتقـد أيضـا سياسـة التحالـف المتواطئـة مـع الشرعيـة وفي إدارتـه لملـف الحـرب في اليمـن.. أخـبرني زملاء في مكتـب «يمـن لايـف» يومهـا أن توجيهـات صـدرت مـن جهـات عليـا في السـلطة الشرعيـة بمنعـي مـن الظهـور عـلى القنـوات الواقعـة تحـت تأثـير هـذه الجهـات، بينـما ظلـت قنـوات أخـرى بعيـدة عـن هـذا التأثـير تتواصـل معنـا بصـورة متقطعـة.

كنـت عـلى تواصـل مـع اللـواء عيـدروس الزبيـدي منـذ التقينـا أول مـرة في مقـر سـكنه المؤقـت بخـور مكسـر في أغسـطس ٢٠١٥، واسـتمر تواصلنـا حتـى حـين أصبـح محافظـا لعـدن، كنـا واقفـين إلى صفـه ندعمـه إعلاميـا وسياسـيا، التقينـا بعدهـا لمرتـين في العـام ٢٠١٦، مـرة في مقـر سـكنه في جولـد مـور بالتواهـي في مؤتمـر صحفـي عقـده للحديـث عـن الخدمـات، ومـرة أخـرى في قاعـة المؤتمـرات بديـوان المحافظـة، تصافحنـا وتعاهدنـا باسـتمرار العمـل سـويا مـن أجـل عـدن والجنـوب.. وقبـل إقالتـه مـن المحافظـة بنحـو شـهرين كنـت قـد تحصلـت عـلى معلومـات مـن الريـاض

بنية الشرعية في إقالته، كانت الشرعية والقوى الشمالية تعتقد أن تعيين عيدروس في منصب محافظ العاصمة عدن سوف يجعله يتنازل عن طموحاته وتطلعاته في استعادة دولة الجنوب حفاظا على منصبه، لكن لأن الرجل مناضل لا تغريه المناصب ظل وفيا لقضية شعبه ووطنه الجنوب، مشكلا إزعاجا وصداعا قويا للشرعية.

بعد حصولي على المعلومات تواصلت مع الزبيدي على الواتساب، وأخبرته بقرب إقالته.. سألني من أين لي بهذه المعلومات؟ أجبته: من مصدر موثوق.. تحدثنا في أمور كثيرة واقترحت عليه التوجه صوب الرياض، ثم طرحت عليه مقترحا آخر في حال تمت إقالته بأن يتوجه لإنشاء حزب سياسي في الجنوب يعبر عن تطلعات الجنوبيين في استعادة دولتهم، فرد علي بالقول: «سندرس الموضوع ونقرر»، تمنيت له التوفيق والنجاح، بعدها بأقل من شهر ونصف تقريبا أقيل من قيادة المحافظة، فكان أن توجه مباشرة لتأسيس المجلس الانتقالي وذلك في مايو ٢٠١٧.

* * *

بيروت أجمل المدن

في مارس من العام ٢٠١٧ تلقيت دعوة من منظمة فريدش ايربرت الألمانية للمشاركة في دورة تدريبية في العاصمة اللبنانية بيروت، كانت الدورة عبارة عن تدريب مدربين في مجال الصحافة الحساسة للنزاعات، وافقت بكل حماس رغبة في زيارة بيروت التي سمعت عن جمالها كثيرا ولم أزرها من قبل.. أنجزنا معاملة السفر عبر مدير البرامج في المنظمة محمود قياح الذي رشحني لحضور الدورة وهو صديق تعرفت عليه قبل ذلك بعدة سنوات في عدن، وحينما تقرر موعد السفر إلى بيروت تم إخبارنا بعدم وجود طائرة من عدن مباشرة إلى بيروت، وكان علينا حزم حقائبنا والسفر برا إلى حضرموت وتحديدا إلى سيئون للإقلاع من مطارها صوب القاهرة ومنها إلى بيروت. غادرت عدن على متن باص نقل الركاب «البراق» بمعية الزميلين نشوان العثماني وعبدالخالق الحود اللذين كانا مشاركين معنا في الدورة إلى جانب زملاء من تعز وصنعاء ومأرب وغيرها.. تحركنا من عدن في السادسة والنصف صباحا على الطريق البحري الذي يربط عدن بأبين ثم شبوة وحضرموت، كانت الرحلة ممتعة، تناولنا طعام الفطور في شقرة ثم واصلنا السير صوب شبوة التي وصلناها منتصف النهار عند الساعة ١٢ ظهرا، وهناك تناولنا طعام الغداء واشترينا القات الرداعي، وواصلنا السفر صوب المكلا، كان بحر العرب رفيقنا على طول الرحلة بزرقته الأخاذة واتساعه الجميل، فيما فيصل علوي يدندن من المسجلة الواقعة في مقدمة الباص.

مع حلول الساعة الخامسة عصرا بدت لنا أعلام وشراعات السفن في بحر المكلا، توقفنا عند نقطة أمنية عند مدخل المدينة لغرض التفتيش الذي استغرق نصف ساعة تقريبا، ثم تحركنا لنصل المكلا، عبرنا وسط شارعها الجميل والنظيف بينما كان الخور الممتلئ بالماء يتماوج على يسارنا، توقف الباص لبرهة لشراء بعض الحاجات والتزود بالماء ثم انطلق صوب عقبة عبدالله غريب باتجاه سيئون، كانت الساعة السادسة مساء حينما تركنا المكلا خلفنا بهدوئها وأناقتها وطيبة أهلها، كان علينا أن نقطع ست ساعات إضافية من المكلا إلى سيئون، إذ وصلناها عند الثانية عشرة ليلا في رحلة امتدت ١٨ ساعة من عدن، رحلة ممتعة لكنها مضنية لم نعتاد عليها من قبل.

توقف الباص وسط سيئون وتناولنا حقائبنا متجهين إلى الفندق المقرر لنا، وصلنا منهكين وغطينا في نوم عميق بعد أن تناولنا عشاء خفيفا.

مكثنا يومين في سيئون زرنا فيها تريم، كنت برفقة نشوان العثماني وصديق آخر من أبناء سيئون أخذنا في سيارته الخاصة إليها، وصلناها في العاشرة صباحا لنتوجه أولا إلى مسجد تريم الكبير والعتيق (مسجد المحضار) وهو مسجد أثري قديم مبني من الطين له منارة شاهقة يقع وسط تريم وتحيط به الحوانيت والمنازل من كل اتجاه، ويقع بالقرب من منزل الفنان الكبير أبوبكر سالم بلفقيه.. وصلنا المسجد وصعدنا للدور الثاني، توضينا وصلينا ركعتين تحية المسجد، ثم دلفنا إلى مكتبته الثمينة المكتظة بالكتب، وهناك سألنا القائمين عليها أسئلة كثيرة وحصلنا على إجابات مفيدة حتى حان وقت صلاة الظهر، صلينا جماعة ثم غادرنا المسجد إلى مكتبة عامة مجاورة له، وانطلقنا بعد ذلك صوب دار المصطفى وهو أشهر معلم ديني ومحضن تربوي في تريم يفد إليه الدارسون من كل أنحاء العالم، زرنا المسجد التابع له ثم المكتبة فمركز المخطوطات والتوثيق، وفرغنا من الزيارة عند الثانية ظهرا، قابلنا القائمين عليه من الطلاب والمسؤولين وهم في قمة الأدب والوداعة والروحانية، إذ تمنحك تريم عند زيارتها – باعتبارها مدينة دين وعلم – طاقة إيجابية كبيرة تجدد الروح وتنشط البدن وتمنحك هالة من نور.

غادرنا تريم إلى أحد المطاعم القريبة لتناول وجبة الغداء، ثم انطلقنا صوب سيئون، وفي العصر فيما ذهب صديقي نشوان لزيارة قبر النبي هود – عليه السلام – دون علمي ذهبت أنا لزيارة مدينة شبام الطينية ناطحة السحاب، فدخلتها عند حلول المغرب فوجدتها مضاءة وكأنها لؤلؤة في السماء تعانق البدر.

كانت زيارتي تلك هي الزيارة الثانية لحضرموت المكلا وشبام وتريم وسيئون، إذ كانت المرة الأولى بداية العام ٢٠١٣ رفقة الزملاء أحمد جعفان وعبدالله العسودي وتوفيق عبدالوهاب ورافقنا الزميل عوض كشميم الذي أمسينا في منزله الطيني العامر ليلة في حريضة، حيث قدمنا من صنعاء لزيارة بيحان ومنها انطلقنا صوب عتق ثم حضرموت وقبلها كنا قد زرنا مأرب عرش بلقيس والسد العظيم.

في اليـوم التـالي غادرنـا سـيئون عـبر طـيران اليمنيـة ظهـرا متجهـين إلى القاهـرة، ومـن حسـن حظـي أننـي حصلـت عـلى مقعـد في الدرجـة الأولى، وصلنـا القاهـرة في الرابعـة عـصرا ومكثنـا ترانزيـت في المطـار تقريبـا سـت سـاعات كانـت ثقيلـة ومملـة، وفي السـاعة العـاشرة ليـلا طرنـا إلى العاصمـة اللبنانيـة بـيروت عـبر الطـيران المـصري، وصلنـا مطـار بـيروت عنـد السـاعة ١٢ ليـلا تقريبـا، مكثنـا في المطـار نصـف سـاعة لتخليـص الحقائـب وإجـراء المعامـلات ثـم انطلقنـا صـوب الفنـدق الـذي وصلنـاه في الواحـدة بعـد منتصـف الليـل، كان فندقـا جميـلا مـن عشريـن طابقـا يقـع في قلـب مدينـة بـيروت في مقابـل المرفـأ وعـلى شـاطئ البحـر، ومن حسـن حظـي مـرة أخـرى أننـي حصلـت عـلى غرفـة واسـعة بالإضافـة إلى صالـة مفروشـة ومجهـزة في الـدور الخامـس عـشر، أسـتطيع مـن بلكونـة الغرفـة الاسـتمتاع بمشـاهدة أجـزاء كبـيرة مـن بـيروت ورؤيـة البحـر والسـفن ومشـاهدة الطائـرات وهـي تعـبر عـلى مسـافة قريبـة مـن أمـام الفنـدق متجهـة إلى مطـار الرئيـس رفيـق الحريـري.

كان أسـبوعا حافـلا في بـيروت.. في اليـوم التـالي مـن وصولنـا – وكان يـوم جمعـة – قمنـا بزيـارة رفقـة عـدد مـن الزمـلاء (وهيـب النصـاري وعـلي الفقيـه وزميلتـين كانتـا معنـا مـن صنعـاء) إلى جبـل لبنـان، حيـث تحركنـا صباحـا في الثامنـة تقريبـا عـلى مـتن سـيارة أجـرة صـوب الأماكـن السـياحية في جبـل لبنـان المكتـسي بالخـضرة والجـمال، زرنـا عـددا مـن المتاحـف التـي تحـوي الكثـير مـن تاريـخ البلـد الجميـل والمتنـوع، كـما زرنـا بحـيرة «جعيتـا» وهـي بحـيرة جميلـة تقـع تحـت الجبـل لا يمكـن الدخـول إليهـا إلا باسـتخدام القـوارب الصغـيرة، ركبنـا اللفـت وهـو عبـارة عـن مركبـة مربوطـة بأسـلاك معلقـة في الهـواء تتبعهـا مركبـات أخـرى عـلى نفـس الأسـلاك، انطلقـت بنـا مـن أمـام المتحـف في الأسـفل إلى قمـة الجبـل حيـث توجـد البحـيرة المائيـة الرهيبـة والآسرة.

عدنـا مـن أعـلى الجبـل سـيرا عـلى الأقـدام لمـدة نصـف سـاعة، واتجهنـا للجهـة الأخـرى مـن الجبـل حيـث يقـع تمثـال السـيدة مريـم العـذراء، وحيـث كان يحتفـل المسـيحيون بأحـد أعيادهـم وفي السـاحة التـي يقـع فيهـا التمثـال والمكتظـة بالـزوار والسـواح انتصبـت صومعـة طويلـة مطليـة باللونـين الأحمـر والأصفـر وفي وسـطها سـلّم يمتـد مـن الأسـفل إلى قمـة الصومعـة حيـث توجـد غرفـة صغـيرة في الأعـلى وبهـو فسـيح يمكنـك مـن خلالـه مشـاهدة القـرى الصغـيرة المتناثـرة عـلى الجبـال وهـي غارقـة

في كومـة رائعـة مـن الإخـضرار والحشـائش وأشـجار الزيتـون وبعـض الفاكهـة، كـما يمكنـك مشـاهدة بـيروت وهـي ممـددة مـن حافـة الجبـل الأخـضر باتجـاه البحـر وكأنهـا تغسـل ضفائرهـا فيـه بوداعـة وجـمال.

هبطنـا مـن الجبـل إلى المدينـة في الأسـفل عنـد السـاعة الثالثـة عـصرا، فدلفنـا إلى أحـد المطاعـم عـلى الشـاطئ لتنـاول وجبـة الغـداء وكان سـمكا مشـويا وخبـزا أحمـر وبعـض المتبـلات اللبنانيـة، وعندمـا فرغنـا مـن الغـداء عدنـا إلى الفنـدق الـذي وصلنـاه في السادسـة مسـاء.

في اليـوم التـالي بـدأ التدريـب في الـدورة، كان المـدرب شـخص متمـرس مـن كردسـتان العـراق يتكلـم العربيـة بطلاقـة، كان التدريـب يبـدأ في الثامنـة صباحـا وينتهـي عنـد الخامسـة عـصرا.. ولأن لبنـان بلـد مغـري جـدا فقـد اسـترقت بعضـا مـن الوقـت أثنـاء التدريـب لزيـارة بعـض الأماكـن لاسـيما في الصبـاح، حيـث دبيـب النـاس بالحركـة والنشـاط، زرت الضاحيـة الجنوبيـة واحتسـيت القـوة بالقـرب مـن مقـر «حـزب اللـه»، كـما زرت أحـد المخيـمات الفلسـطينية غـرب بـيروت، وتمشـيت في أسـواق المخيـم وتناولـت الغـداء في أحـد المطاعـم هنـاك (دجـاج مشـوي وزبـادي مـع الثـوم والليمـون وخبـز أحمـر لذيـذ).

وبعـد يومـين مـن وجـودي في بـيروت تعرفـت عـلى سـائق تاكـسي يدعـى «عبـده» في العقـد السـابع مـن العمـر، قـال إنـه يحـب اليمنيـين لأنـه عايشـهم لثلاثـة عقـود في السـعودية، حيـث كان مغتربـا هنـاك.. أخـذني «عبـده» في جولـة إلى الضاحيـة ومناطـق أخـرى جميلـة في وسـط بـيروت وأراني منـازل الرئيـس سـعد الحريـري ورئيـس البرلمـان نبيـه بـري وآخرين، كـما أراني المـكان الـذي استشـهد فيـه الرئيـس رفيـق الحريـري، كان العـم عبـده يمـر عـلي بشـكل يومـي للذهـاب إلى المطعـم الحضرمـي بالقـرب مـن الفنـدق لتنـاول المنـدي والوجبـات اليمنيـة ثـم الانطـلاق للتمشـية، حيـث أخـذني في إحـدى المـرات إلى الضفـة الأخـرى مـن جبـل لبنـان حيـث تقـع قريـة السـياسي اللبنـاني المعـروف وليـد جنبـلاط، وهنـاك شـاهدنا صـورة طبيعيـة مـن جريـان عيـون المـاء وإخـضرار الأرض المزروعـة بمختلـف أنـواع الثـمار والفواكـه، والأجمـل هـو مشـاهدة الإنسـان اللبنـاني النظيـف والمرتـب الـذي يحـب الحيـاة والأرض ويعمـل مـن أجلهـا..

لبنـان أجمـل الـدول التـي زرتهـا، طبيعـة خلابـة وصخـب وترتيـب وتنظيـم ونظافـة ورقـي وتنـوع فريـد وتسـامح وتعايـش بـين جميـع الطوائـف، مـا

ينقـص هـذا البلـد الجميـل هـو أن تكـف الـدول الأجنبيـة التدخل في شـؤونه الداخليـة، وأن يحظـى بقيـادة وطنية وأن يتحسـن الوضـع الاقتصـادي المتأزم الـذي سـاهم في تدهـور العملـة وارتفـاع الأسـعار بشـكل جنـوني.

*   *   *

العودة إلى عدن.. احتجازي في المطار

بعد انتهاء مدة الدورة في بيروت المقررة بأسبوع كان علينا العودة مرة أخرى إلى عدن، ولأنه لا يوجد طيران مباشر إلى عدن من بيروت كان علينا الطيران إلى القاهرة مرة أخرى.. تحركنا من مطار بيروت عند الخامسة عصرا وفي السابعة كنا في مطار القاهرة، وهناك مكثنا وقتا طويلا حتى صباح اليوم التالي، داهمنا النوم أكثر من مرة نمنا على المقاعد في صالات المطار وعلى أرضيته الملساء لكنه لم يكن نوما هانئا أو عميقا.

في صباح اليوم التالي عند العاشرة صباحا بعد حضور طائرة "اليمنية" التي تأخرت كثيرا غادرنا المطار وصعدنا على الطائرة متجهين إلى العاصمة عدن، صعد معنا ركاب يمنيون قادمون من القاهرة وراكب آخر كان قادما من أمريكا، وهو من محافظة ذمار، ويبدو أنه عرفني تماما، إذ كان على المقعد الواقع على يساري وبجواره شخص من صنعاء، كانا يتحدثان عني وعن الثورة والإطاحة بـ"صالح" وعن الحراك الجنوبي، بينما أنا صامت استمع إليهما، ثم بادرني صاحب صنعاء بالسؤال: أنت باسم الشعبي الذي كنت تحرق التواير في عدن؟ (يقصد إطارات السيارات)، ضحكت كثيرا وضحك معي صاحب ذمار، ثم قال: هذا باسم شخص معروف وله دور في الثورة ومش من أصحاب التواير، سألاني عن الوضع في عدن وهل ممكن أن تصلح البلاد؟ تناقشنا لبعض الوقت ثم قال الأمريكي صاحب ذمار: أنت يفترض أن تسافر أمريكا، هناك ستجد مكانتك الحقيقية وستحقق طموحاتك، قلت له: على يدك، كلي استعداد لذلك، قال: ادخل القرعة "اللوتري" مثلما فعلت أنا، قلت له صعب، ثم نمت والطائرة تحلق في السماء.. ثلاث ساعات كانت المسافة من القاهرة إلى العاصمة عدن، وصلنا مطار عدن في الواحدة ظهرا، دلفنا من بوابة المطار باتجاه صالة الخروج وعندما قدمت الجواز للموظف قال: أنت باسم الشعبي على جنب، ممنوع من المغادرة، قلت له: ليش أنا الممنوع بينما الزملاء غادروا، صاح بأعلى صوته قائلا: أعيدوا له أصحابه، لحقوا حوالي أربعة أشخاص (نشوان العثماني وعبدالخالق الحود وياسين الزكري وآخر من مأرب)، بينما البقية غادروا، اقتادونا إلى غرفة تابعة للأمن القومي وكان فيها ضابط أمني شاب وزميل

دراسة في الجامعة قال: أيش وداك لبنان يا باسم؟ قلت له: رحنا دورة تدريبية؟ قال: دورة تدريبية ولا لزيارة الضاحية وحزب الله؟ عرفت مباشرة أنه أنا المقصود بالاحتجاز فقط، وأن بلاغا وصل من بيروت مباشرة لجهات عليا في الشرعية بأني زرت الضاحية، قلت له نعم زرت الضاحية وشربت القهوة بالقرب من مقر حزب الله، هل لديك مانع؟ هل هذه جريمة؟! قال لا، قلت وليش تحتجزنا؟! قال هذه توجيهات عليا.. وبعد دقائق حضر مدير الأمن السياسي في المطار وكرر نفس الأسئلة الغبية، قلت له: اسمع أنا بغادر المطار وجوازي خذوه لكم وإذا في علي أي شيء موثق بالأدلة فمنزلي في حي الإنشاءات بدار سعد وهذا تلفوني استدعوني بأي وقت، ثم غادرت المطار صوب المنزل، وبعد ربع ساعة وبينما أنا في الطريق اتصل بي الزميل عبدالخالق الحود وقال جوازك معي والجماعة تم إطلاقهم جميعا.

كان تصرف غبي وغير لائق من سلطة تركت المجرمين والانقلابيين واعتقلت الصحفيين الواقفين في صفها، أراد بعض الزملاء نشر خبر في الإعلام لكن مسؤول الأمن السياسي قال: أنا عند الله ثم عندكم اعتبروا الموضوع منتهي (كما قال أحد الزملاء)، فتركنا الموضوع وتجاهلناه تماما يومها.

* * *

إلى بيت الله تهفو القلوب

مكثت في عدن نحو أربعة أشهر عقب العودة من بيروت كانت مليئة بالأحداث، الانتقالي أصبح خلال فترة قصيرة قوة سياسية ضاربة، بينما استمرت السلطة الشرعية في إخفاقاتها المستدامة والتي بدأت منذ تحرير عدن، فشل أمني، فشل خدمي، فساد مستشري أكبر مما كان دون حسيب أو رقيب، تقاسم للوظيفة العامة والمناصب في الداخل وفي السلك الدبلوماسي بين المسؤولين وعائلاتهم والأحزاب وأنصارهم في أسوأ مرحلة يشهدها البلد، ناهيك عن استمرار اغتراب قيادة الشرعية وحكومتها في الفنادق خارج البلاد.

في منتصف ٢٠١٧ غادرت إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج حيث منحني الصديق وزير الأوقاف الدكتور أحمد عطية آنذاك مقعدا ضمن حجاج الوزارة واستخرج لي الفيزة وبعثها عبر الواتس، كنت قد التقيت الوزير عطية قبل ذلك بشهرين تقريبا أثناء زيارتي لقصر المعاشيق رفقة الصديق عبدالجبار الصبيحي، كنا في زيارة للدكتور محمد عبدالمجيد قباطي وزير الإعلام يومها، هناك التقيت "عطية" في السكن المخصص للوزراء وعرض علي خدماته فطلبت منه التعاون في مساعدتي لزيارة بيت الله وأداء مناسك الحج فوافق على الفور وأعطاني أرقامه للتواصل، مكثنا بعض الوقت للحديث مع الوزير قباطي ثم خرج بنا إلى ساحة قصر المعاشيق ليدلنا على كثير من المواقع المهمة هناك وليخبرنا بأن المعاشيق كان عبارة عن مكاتب و سكن للتاجر الفرنسي الكبير "البس" أيام تواجد بريطانيا في عدن، وأرانا – كما أتذكر – صور طائرات منحوتة على جدران بوابة السكن الذي كان ينزل فيه، موضحا أن "البس" كان يمتلك شركة طيران خاصة به، ثم أصبح المعاشيق مقرا وسكنا لقيادات الجبهة القومية بعد الاستقلال ثم لقيادة الحزب الاشتراكي فيما بعد.

أثناء الزيارة لمعاشيق التقينا وزير الإدارة المحلية عبدالرقيب فتح أيضا، ثم دُعِينا لتناول الغداء مع الوزراء ونواب الوزراء فذهبنا لنجد عددا آخر مِن الوزراء على الغداء من ضمنهم وزير الداخلية يومها حسين عرب الذي تعرفت عليه لأول مرة، وصديقي حسين بإسلامة وزير التعليم العالي وآخرون.

غـادرت إلى مكـة بـرا في رحلـة مضنيـة اسـتمرت يومـان ونصـف، في اليـوم الأول تحركـت مـن عـدن إلى العـبر وهنـاك مكثـت يومـا للبحـث عـن بـاص يقلنـي إلى مكـة، داهمنـي الليـل في العـبر فنمـت في إحـدى الغرف السـكنية التابعـة لأحـد المسـتثمرين مـن أبنـاء الشـمال، كانـت عبـارة عـن غرفـة جاهـزة مـن الخشـب والزنـج مـع حـمام تتصـل بهـا غـرف أخـرى.. وفي الصبـاح صحـوت باكـرا لتنـاول الفطـور ثـم توجهـت إلى مكتـب سـفريات يتبـع شـخصا مـن محافظـة تعـز أخـبرني بأنـه لا يوجـد بـاص فـارغ وأن كل الباصـات ممتلئـة وأنـه عـلي الانتظـار يومـا أو يومـين في العـبر حتـى أجـد باصـا، حاولـت أقنعـه بأهميـة السـفر في ذلـك اليـوم وكنـا قـد دلفنـا إلى العـشر مـن ذي الحجـة، إلا أنـه لم يتفاعـل مـع الأمـر، وعندمـا داهمنـي اليـأس لكـوني وحيـدا ولا أعـرف أحـدا في العـبر أرسـل اللـه لي شـخصا آخـر مـن أبنـاء شرعـب تعـز وكان في العقـد الخامـس مـن العمـر، حدثتـه بمـا صـار معـي فطلـب منـي مرافقتـه، ذهبنـا سـويا وقطعنـا مسـافة ربـع سـاعة مشـيا عـلى الأقـدام ليدلـف بي إلى مكتـب سـفريات آخـر، وبعـد حـوار مـع صاحـب المكتـب لبعـض الوقـت التفـت نحـوي وقـال خـلاص اطمـئن وجدنـا لـك مقعـد، اتفقنـا ودفعـت قيمـة التذكـرة سـبعمائة ريـال سـعودي ذهـاب وإيـاب، ثـم صعـدت عـلى البـاص الـذي كان يقـف أمـام المكتـب وتوافـد إليـه أيضـا عـدد مـن الـركاب أكثرهـم مـن مناطـق الشـمال، وبعـد نصـف سـاعة تحركنـا صـوب منفـذ الوديعـة، وفي الطريـق اكتشـفت أن هنـاك مقاعـد فارغـة في البـاص ولم يكـن ممتلئـا..

تحركنـا مـن العـبر عنـد السـاعة العـاشرة صباحـا وبعـد سـاعتين كنـا أمـام منفـذ الوديعـة، كان علينـا التوقـف في طابـور طويـل جـدا لانتظـار دورنـا في الدخـول إلى المنفـذ السـعودي، مكثنـا في الطابـور تقريبـا ثلاثـة عـشرة سـاعة مـن (السـاعة الثانيـة عـشرة ظهـرا حتـى الواحـدة بعـد منتصـف الليـل)، تناولنـا وجبتـي الغـداء والعشـاء في المنفـذ وأدينـا الصلـوات، كان وكيـل وزارة الأوقـاف لشـئون الحـج والعمـرة الصديـق مختـار الربـاش دائـم التواصـل معـي والاطمئنـان عـلي عـلى طـول الطريـق، أنجزنـا المعامـلات في المنفـذ السـعودي وتحركنـا مبـاشرة في الطريـق صـوب مكـة، بعـد ثـلاث سـاعات مـن الرحلـة توقفنـا في محافظـة الـشرورة لأداء صـلاة الفجـر وتناولنـا الفطـور وقمنـا أيضـا بـشراء شرائـح تلفـون سـعودي، لم أكـن أعـرف إلى أيـن سـأصل في مكـة ولا أيـن سأسـكن وأنـا الزائـر الغريـب لم أسـأل الوزيـر أو الوكيـل عـن ذلـك، كان همـي هـو الوصـول أولا، لكـن فجـأة توقـف البـاص في الطريـق لمنـح الـركاب بعـض الوقـت لـشراء

بعض الحاجات وأيضا لقضاء الحاجة، توقف أمامي شابان يكبراني في السن قليلا، بادرني أحدهما بالقول: أهلا باسم الشعبي، كيف حالك؟ أنت معنا في الباص؟ قلت نعم، قال أنا اسمي أنور الحمادي من أبناء عدن وهذا صديقي محمد باري من الحديدة، نحن موظفان في وزارة الأوقاف متجهين إلى مكة، نحن نعرفك من التلفزيون، قلت أهلا بكم، وأنا أيضا سوف أحج على نفقة الوزارة بدعم من الوزير ، قال الحمادي والسكن فين بتسكن؟ قلت: لا أعرف لحد الآن، أريد أصل إلى مكة أولا، قال نأخذك معنا إلى سكن البعثة حق اليمن التابع لوزارة الأوقاف يقع في مكة بالقرب من المسجد الحرام، وهناك ستلتقي الوزير والوكيل، قلت: تمام، تهلل وجهي بالسرور ثم صعدنا الباص سويا وقعدنا قريبين من بعض ودخلنا في حديث طويل عن أحوال البلاد والعباد كان يقطعه النوم لبعض الوقت.

في الساعة الواحدة ظهرا وصلنا وادي الدواسر، توقف الباص أمام محطة بترول ومطعم ومصلى على الطريق العام، نزلنا من الباص لأداء صلاتي الظهر والعصر معا ثم تناولنا وجبة الغداء واشترينا الماء البارد والحقين والعصائر الباردة فهي تنفع في الحر الشديد، ثم عدنا إلى الباص جميعا وتحركنا، كان سائق الباص ومساعده سوريَين يعملان في شركة نقل وتفويج الحجاج، كانا لطيفين يتبادلان مقعد القيادة في الأمام وسرير النوم الذي يقع في مؤخرة الباص، وبينما قد قطعنا مسافة أربع ساعات من المكان الذي توقفنا فيه بالدواسر تلقى سائق الباص اتصالا من الشرطة السعودية التي كانت تنظم دوريات لحماية الطريق تطالبه بالعودة إلى الدواسر على اعتبار أنه لا يحق له التحرك بمفرده وإنما مع الباصات الأخرى، فحاول يقنعهم بأن المسافة بعيدة وأن الركاب مرهقين لكنهم رفضوا بشدة، فما كان منه إلا العودة لنقطع أربع ساعات أخرى إلى نقطة كنا فيها، كانت الساعة التاسعة مساء حينما عدنا إلى الدواسر وكانت أقدامي قد بدأت بالتورم بسبب طول السفر، شعرت بالقلق ولكن صديقي أنور الحمادي قال اتصل إذا معك طبيب واشرح له، تواصلت مع صديقي الدكتور عبدالله العليمي وكان يشغل منصب مدير مكتب الرئاسة يومها وهو طبيب ماهر خريج كلية الطب عدن، شرحت له الحالة وأني لا أستطيع المشي، قال "لا تقلق هذه سوائل في القدمين بسبب السفر الطويل، ضع قدميك في مكان مرتفع وسوف تهبط السوائل وينتهي الورم"، وفعلا قمت بذلك وخف الورم كثيرا وتمكنت من المشي.

عدنـا إلى الـدواسر، نزلنـا وتعشـينا وبدأنـا رحلـة جديـدة مـع جمـع مـن الباصـات، كان الوقـت ليـلا كنـا نعـبر في صحـراء قاحلـة إلا مـن قـرى صغـيرة متناثـرة هنـا وهنـاك.. وقبـل حلـول وقـت صـلاة الفجـر كنـا قـد وصلنـا الطائـف تقريبـا عنـد السـاعة الثالثـة فجـرا، الطائـف مدينـة كبـيرة ومرتبـة مررنـا في وسـطها تذكـرت واقعـة رمـي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بالحجـارة يـوم أتى الطائـف يدعـو أهلهـا للإسـلام، والبسـتان الـذي أكل فيـه عنبـا بعـد ذلـك، كنـت أتمنـى معرفـة المـكان وزيارتـه، لكـن البـاص كان يعـبر الطريـق مسرعـا متجهـا بنـا صـوب موقـع الإحـرام الواقع بـين الطائـف ومكـة، وصلنـا المـكان عنـد صـلاة الفجـر، نزلنـا واغتسـلنا ثم اشـترينا ملابـس الإحـرام البيضـاء وارتديناهـا وأدينـا صـلاة الفجـر ثـم انطلقنـا صـوب مكـة، وفي العقبـة المؤديـة إلى مكـة تعطـل البـاص فأخذنـا سـيارة أجـرة أنـور الحـمادي ومحمـد بـاري وأنـا وانطلقنـا صـوب سـكن البعثـة اليمنيـة للحـج في أحـد أحيـاء مكـة المزدحمـة، وصلنـاه في العـاشرة صباحـا، ذهبنـا إلى المسـؤول عـن سـكن البعثـة نطلـب ترتيـب غرفـة لنـا وعـلى الفـور أمـر بغرفـة متوسـطة الحجـم كان فيهـا أربعـة أسِرَّة، نزلنـا فيهـا الثلاثـة بالإضافـة إلى شـخص آخـر مـن موظفـي وزارة الأوقـاف يدعـى الشـيباني كان لطيفـا وودودا.

عنـد السـاعة الحاديـة عـشرة وبعـد أن اطمأننـا عـلى عفشـنا في الغرفـة وأغلقناهـا توجهنـا صـوب أحـد المطاعـم الحضرميـة وهنـاك تناولنـا المنـدي كان السـعر مرتفعـا عـلى مـا هـو الحـال في عـدن إذا مـا قارنتـه بالعملـة، شـكوت مـن ذلـك فقـال الزمـلاء أنـت في موسـم الحـج والأسـعار ترتفـع بشـكل جنـوني في مكـة والمدينـة.

بعـد أن فرغنـا مـن الغـداء توجهنـا للمسـجد الحـرام للصـلاة وزيـارة بيـت اللـه ولتأديـة العمـرة الأولى، كان شـعورا لا يوصـف وأنـا أطـوف خلـف صديقـي الحـمادي وبـاري حـول الكعبـة باعتبارهـما قـد اعتمـرا وحجـا مـن قبـل كثـيرا، أرشـداني للكثـير مـما لا أعرفـه عـن الطـواف ومـا الـذي يقـال مـن تسـابيح وذكـر عنـد كل مـرة نطـوف فيهـا، ومـا الـذي يقـال وأنـت في مواجهـة الحجـر الأسـود، كان الزحـام عـلى أشـده، رأينـا وجوهـا مـن كل أسـقاع العـالم وبـكل الألـوان والسـحنات، في منظـر مهيـب وصمـت بليـغ ومشـاعر روحانيـة ترتقـي بصاحبهـا إلى السـماء، وبـين الصفـاء والمـروة جرينـا في سـبعة أشـواط مسـتلهمين خطـوات أمنـا هاجـر وهـي تعـدو بحثـا عـن مـا يسـد رمـق طفلهـا الصغـير "إسـماعيل" في زمـن غابـر مـن

القحـط والفاقـة.

وفي الأيـام المتبقيـة قبـل حلـول مناسـك الحـج داومـت عـلى الصـلاة في المسـجد الحـرام صباحـا ومسـاء متأمـلا ومسـتلهما تلـك العظمـة الربانيـة التـي حولـت مكـة القريـة الجـرداء والمقفـرة ذات الجبـال السـود إلى مهبـط للوحـي ومـزار لا ينقطـع يأتيـه البـشر مـن كل أسـقاع المعمـورة.

زرت الأسـواق المحاذيـة للحـرم، وذهبـت لزيـارة المـكان الـذي ولـد فيـه خـير الخلـق محمـد عليـه أفضـل الصـلاة والتسـليم وقـد تحـول المـكان إلى مكتبـة، ثـم وقفـت أصـوب البـصر إلى قمـة الجبـل المطـل عـلى مكـة والحـرم حيـث يقـع غـار حـراء، ذلـك المـكان الـذي تسـلق إليـه نبينـا محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم بمشـقة مناجيـا ربـه وحيـث نـزل عليـه الوحـي لأول وهلـة.

مـرت الأيـام مسرعـة والزحـام عـلى أشـده في الحـرم فبالـكاد تجـد موضعـا للصـلاة بجـوار الكعبـة أو في محيـط المسـجد.. وعندمـا حـان موعـد الحـج والصعـود إلى منـى أحـضرت لنـا إدارة البعثـة بقيـادة الوزيـر الدكتـور أحمـد عطيـة باصـات نقـل إلى جـوار السـكن، وفي الصبـاح الباكـر تحركنـا مـن مكـة إلى منـى مردديـن التكابـير والتلبيـات ومرتديـن لبـاس الإحـرام البيضـاء، قطعنـا المسـافة في سـاعة ونصـف تقريبـا صعـودا مـن أسـفل إلى أعـلى بسـبب الزحـام الشـديد، إذ تقـع منـى عـلى مرتفـع جبـلي تتوسـطه هضبـة فسـيحة تنتـشر في جهاتهـا الأربـع خيـام الحجـاج وبعـض المبـاني المشـيدة الكبـيرة التـي ينـزل فيهـا الحجـاج مـن الأسرة السـعودية الحاكمـة أو المسـؤولين في المملكـة أو غيرهـم مـن كبـار الشـخصيات والرؤسـاء الذيـن يأتـون لتأديـة مناسـك الحـج.

قضينـا اليـوم الأول في منـى، وعنـد الظهـيرة كان الطقـس حـارا جـدا، كانـت الخيـام مزدحمـة جـدا بالحجـاج، دلفـت إلى إحـدى الخيـام مـع أحـد الأصدقـاء وجدتـه هنـاك بالصدفـة وقضينـا النهـار مقرفصـين لم نسـتطع التمـدد أو النـوم مـن شـدة الزحـام في الخيمـة، تناولنـا وجبـة الغـداء كان عبـارة عـن رز ودجـاج وأدينـا صـلاة الظهـر وانتظرنـا حتـى حـان موعـد صـلاة العـصر وحتـى يتلطـف الجـو قليـلا لنتمكـن مـن الخـروج مـن الخيمـة، وفعـلا خرجـت إلى الشـارع للاسـتمتاع بقليـل مـن الهـواء والتقـاط بعـض الصـور حتـى يحـين موعـد صـلاة المغـرب، صليـت المغـرب مـع جمـوع الحجـاج اليمنيـين إلا أني افتقـدت صديقـي في الزحـام ولم أتمكـن مـن العثـور عليـه، وأصبحـت بمفـردي أبحـث عـن خيمـة للراحـة

والنوم، حاولت الاتصال بالصديق أنور الحمادي إلا أن هاتفه كان مغلقا، احترت في أمري، فصعدت إلى أعلى حيث تقع عدد من الخيام في سفح جبل مطل وبالصدفة وجدت زملاء إعلاميين وصحفيين من الشمال من صنعاء واب وتعز مقيمين في الرياض وقدموا لأداء الحج، تصافحنا وأخبرتهم أني أبحث عن خيمة للنوم فلم أجد، قالوا تعال معنا لدينا خيمة لكن لا توجد فرشان كافية، قلت سهل سوف أنام على الأرض طلبا للأجر من الله، لكن الجماعة لم يمهلوني طويلا إذ فتحوا نقاشا حول الجنوب وبدأوا يسالوني أسئلة استفزازية: هل أنت انفصالي مع عيدروس وجماعته؟ وليش تطالبون بالانفصال ونحن في حرب مع الحوثي؟ أنتم تخدمون الحوثي؟ رديت عليهم بما يكفي، وقلت لهم نحن في الأراضي المقدسة خلونا نكمل الحج وبعدين نجلس نتكلم، ما لم فسوف أغادر الخيمة للمبيت في الجبل، قالوا لا أجلس نام عندنا، نمت عندهم وأنا غير مرتاح، وضعت كرتونا عند راسي ونمت قليلا ثم صحوت والجماعة يتكلمون عن الجنوب والانفصاليين، عدت مرة أخرى للنوم فلم أستطع، كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، تظاهرت بالنوم حتى أطلق ميكرفون المسجد العنان لأذان الفجر، خرجت للوضوء ثم توجهت للصلاة في مصلى الحجاج، ثم تناولنا الفطور وكان عبارة عن خبز مع الجبن والحلاوة لكن أنا لا آكل الحلاوة مع الخبز، اكتفيت بالجبن مع الخبز مع قلص شاهي أحمر، ثم هبطنا من أعلى الجبل إلى الشارع في الأسفل حيث يقف رتل من الحافلات لنقل الحجاج إلى عرفة، امتطينا إحدى الحافلات بصعوبة كان معي الزميل حمدان الرحبي (وهو زميلي في جريدة "السياسية" حينما كنت أعمل بوكالة الأنباء بصنعاء)..

تحركنا في السابعة صباحا من منى ووصلنا في الحادية عشرة ظهرا إلى عرفة، مررنا بطريق إسفلتية متعرجة تحيط بها الأودية والأشجار والأحراش من اليمين واليسار، تخيلت المشهد وتساءلت كيف كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه – رضوان الله عليهم – يقطعون تلك المسافات، أو النبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، أو العرب القدامى قبل توفر السيارات والمركبات، وأين كانوا ينامون وهم يقضون مناسك الحج. بالمناسبة النبي إبراهيم عليه السلام هو المؤسس الأول لهذه المناسك، وأعتقد أن الناس بدأت تحج في عهده فهو نبي عظيم في الحقيقة لذا سمي "أبو الأنبياء" تكريما له.

في عرفة التقيت بالصدفة بصديقي أنور الحمادي، قلت له "وينك من أمس، الوحدويين ما خلونا ننام"، ضحك وقال "حتى في الحج في سياسة؟!"، حدثته عما حدث، فقال "تعال معي، لدينا خيمة واترك الجماعة لحالهم"، ذهبنا إلى خيمته وكان فيها زملاؤنا في سكن البعثة، صلينا الظهر ثم تغدينا رز زربيان ولحم وحقين ثم عصائر وموز، وخلدنا للنوم حتى الساعة الثانية ظهرا، أيقظني أنور وقال ياللـه نتحرك إلى مقدمة عرفة ومعنا العزعزي، قلت ليش ما نتحرك سويا مع الجماعة، قال بتكون زحمة جدا ولن نستطيع السير..

تحركنا والشمس في كبد السماء والجو في قمة الحرارة، مررنا وسط خيام الحجاج من كل الجنسيات حتى خال لي أن عرفة عبارة عن وادي كبير بالعرض والطول تفترش فيه خيام الحجاج بالآلاف، مشينا تقريبا ساعة ونصف حتى وصلنا إلى إحدى الخيام تتبع حجاج من ألبانيا بعضهم يتكلم العربية، وكان معهم ماء بارد وعصائر وبسكويت، عزمونا فجلسنا نأكل، ثم شكرناهم وتقدمنا صوب مقدمة الوادي حيث يتجمع الحجاج هناك قبل صلاة المغرب للانطلاق سيرا على الأقدام صوب مزدلفة، أدينا صلاة العصر وجلسنا مستمتعين برذاذ الماء البارد الذي ترشه مكائن مخصصة لذلك لتلطيف حرارة الجو، وعندما حان أذان المغرب انطلقنا صوب مزدلفة مع جموع الحجاج كبارهم وصغارهم حتى العجزة يتم نقلهم على العربات والجواري اليدوية، في مشهد مهيب تتجه فيه القلوب للـه وحده.

قطعنا الطريق إلى مزدلفة في ثلاث ساعات تقريبا وكنا نحصل في الطريق على الماء البارد والعصائر من قبل فاعلي الخير الذين يوزعون ذلك من سيارات كبيرة ودينات حتى يعينوا الحجاج على مواصلة السير.. في التاسعة مساء وصلنا مزدلفة وهي عبارة عن وادٍ كبير أيضا يقع أسفل منى، وفيه مجاري سيول كثيرة وعبارات، وفيه أيضا مسجد كبير ومساكن كبيرة مشيدة بالأحجار المنقوشة لكبار الحجاج من المسؤولين وغيرهم، أما نحن فقد أدينا صلاة المغرب والعشاء ثم اتجهنا صوب إحدى العبارات للنوم في الهواء الطلق، التحفنا بعض الكراتين ونمنا عليها، كان معنا حجاج من باكستان تحدثنا معهم قليلا وتبادلنا بعض المشروبات والبسكويت ثم نمنا سويا حتى أذان الفجر، توجهنا للصلاة ثم لتناول الفطور وكان عبارة عن خبز رغيف وبيض مسلوق وشاهي أحمر، ثم انطلقنا صوب منى

صعودا إلى أعلى، رمينا الجمرات وهبطنا على مكة حيث سكن البعثة سيرا على الأقدام، قطعنا المسافة في ثلاث ساعات أيضا.

الحج ليس بالأمر السهل، هو بحد ذاته معاناة شديدة ومشقة ولابد أن تكون خلالها مستعدا لتحمل حرارة الجو والسير على الأقدام لمسافات طويلة والنوم على الأرض من دون فراش وغيرها من المشاق، لذا لم يكن الحج كفارة للذنوب من فراغ، ففي كل هذه المتاعب حكمة ورحمة أرادها الله لعباده.

أكملنا مناسك الحج ثم أدينا طواف الوداع على الكعبة عند الساعة الثالثة فجرا، وصلينا الفجر في الحرم لنتجه بعدها مباشرة في السابعة صباحا صوب يثرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، رتبت لنا بعثة الحج اليمنية حافلة "باص كوستر" يقل أربعين راكبا، لتبدأ رحلتنا في طريق الهجرة إلى المدينة، قطعنا الطريق في ست ساعات تقريبا إذ وصلنا قبل صلاة العصر واتجهنا مباشرة إلى السكن المخصص لنا ثم انطلقنا صوب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، زرنا قبر الرسول وقبر الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أولا، كان الزحام شديدا، توقفنا أمام قبر الرسول لدقائق كنا نسمع بكاء الحجاج فأبكانا المشهد جميعا من شدة الشوق واللقاء، عدنا بعدها لصلاة العصر ثم مكثنا للمغرب فأدينا صلاة المغرب. ولأن الشعور بالروحانية كان طاغيا على النفوس والمشاعر رفضنا مغادرة المسجد ونمنا فيه حتى الفجر، أدينا صلاة الفجر، ثم غادرنا المسجد، بحثنا عن الفطور كان خبز رشوش مع البيض المقلي وقلص شاهي بالحليب في مطعم يمني.

كل الأيام التي قضيناها في المدينة – وتقدر بأربعة أيام – داومنا فيها على البقاء في المسجد النبوي صباحا ونهارا وليلا، كنا نخرج في المساء إلى باحة المسجد لمشاهدة القبة الخضراء مضية وكأنها نجمة هبطت من السماء، تأملنا السماء فوق المسجد النبوي حتى خال لنا رؤية اسم محمد مكتوبا بالسحاب الممتلئة غيثا.

في اليوم التالي لوجودي في يثرب استأجرت سيارة طالبا من سائقها التوجه به لزيارة المعالم الدينية فيها، ذهبنا إلى مسجد قباء في الساعة الثانية ظهرا ومكثنا فيه حتى صلاة العصر، أدينا الصلاة ثم انطلقنا صوب جبل أحد الواقع في شمال المسجد النبوي، زرنا أيضا المقبرة

التـي دفـن فيهـا حمـزة بـن عبدالمطلـب، رضي اللـه عنـه، عـم الرسـول صلى اللـه عليـه وسـلم وعـدد مـن شـهداء غـزوة أحـد، تأملنـا المـكان بخشـوع وخيـال امتـد بنـا إلى زمـن بعيـد عمـره ألـف وأربعمائـة عـام، ثـم انطلقنـا لزيـارة موقـع غـزوة الخنـدق وصلينـا المغـرب في المسـجد المجـاور لموضـع الخنـدق، كان سـائق السـيارة مـن سـكان المدينـة لكنـه نيجـيري الأصـل، حيـث قـال لنـا إن جـده جـاء قبـل مائـة عـام تقريبـا للمدينـة زائـرا ومكثف فيهـا بجـوار مسـجد الرسـول، حيـث بُنـي لـه منـزل هنـاك وأقـام دكانـا للبيـع والـشراء، وهكـذا تناسـل الأولاد والأحفـاد في تلـك البقعـة المباركـة.

المدينة ومكة

تشـهدان نهضـة معماريـة كبـيرة وحـراك اقتصـادي وتجـاري كبيريـن واهتـمام حكومـي يفـوق الوصـف، يتشـابه الوضـع بـين دول الخليـج فيـما يتعلـق بالعمـران والتطـور، فالكويـت التـي زرتهـا في منتصـف ٢٠١٠ هـي الأخـرى تشـهد تطـورا كبـيرا في شـتى المجـالات وتتفـوق عـلى غيرهـا بحريـة الصحافـة والإعـلام ووجـود الانتخابـات والبرلمـان، كـما لمسـنا ذلـك وكـما اطلعنـا رئيـس برلمانهـا يومهـا الشـيخ جاسـم الخـرافي الـذي التقينـاه أثنـاء زيارتنـا.

* * *

العمل الإنساني والمظاهرات والسجن

مكثنا ٢٤ يوما في السعودية ما بين مكة وجدة والمدينة، ثم عدنا في أغسطس ٢٠١٧ إلى عدن، وكنت قد التحقت في بداية العام نفسه بالعمل في مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية لعدة أشهر ثم تركت العمل، وبعد عودتي من المملكة عدت للعمل مرة أخرى في المركز بطلب من قيادة المركز الذي يرأسه في عدن الشيخ صالح الذيباني، وعملت فيه أيضا عدة أشهر وكان عملي في مجال الإعلام..

سافرنا إلى مناطق عدة لتوزيع الإغاثة على المحتاجين، وصلنا إلى المخا في يوم رمضاني حار لتوزيع السلل الغذائية على المواطنين المحتاجين من أبناء المخا، كنت برفقة الصديق عبدالله الطيار مسؤول الإغاثة بالمركز وكان معنا الصديق محمد سمير من أبناء الصبيحة، تحركنا من عدن بعد صلاة الفجر ووصلنا المخا في العاشرة صباحا، ومكثنا هناك حتى الظهيرة بسبب تأخر وصول الجهة الشريكة في إيصال مواد الإغاثة للمكان المقرر التوزيع فيه، عانينا من شدة الحر وعندما أنجزنا المهمة غادرنا مباشرة إلى عدن عبر طريق الساحل، فطرنا وصلينا المغرب في الطريق ثم واصلنا الطريق صوب عدن، وتأكد لنا تماما أن السفر في نهار رمضان قطعة من جنهم يومها.

بعدها بيومين تحركنا صوب السقيّة ورأس العارة في نفس المهمة، كنت أقوم بالتصوير ثم تغطية الحدث في وسائل الإعلام المختلفة، كان عملا شاقا لكنه لذيذ، إذ يخفف من معاناة الناس ويعالج ولو قليلا من الأزمة الإنسانية التي كانت تعانيها البلاد.

بعد رمضان كان لدينا برنامج آخر، فمركز الملك سلمان ينفذ برامجه الإغاثية على مدار العام.. سافرنا إلى منطقة ريفية تقع بين المخا والحديدة (لا أتذكر اسمها)، كنت رفقة عبدالعزيز باوزير نائب مدير المركز بعدن وعبدالله الطيار مسؤول الإغاثة، تحركنا عند الساعة السابعة صباحا من عدن وفي العاشرة والنصف وصلنا المكان، مررنا بالأرض المحروقة والجسور والمباني المدمرة من جراء الحرب التي شهدها الساحل الغربي، كان الشريك المحلي لمركز الملك سلمان قد جهز كل شيء ولم يتبقَ إلا التوزيع والعمل البروتوكولي، ثم تمت عملية توزيع المواد الإغاثية، وبدوري التقطت الصور وسجلت الأحاديث

الإعلامية مع الناس، وعندما هممنا بالعودة إلى عدن كان هناك شخص من بين الحاضرين – في العقد السادس من العمر – فحلف علينا يمين أننا ما نمشي إلا بعد تناول وجبة الغداء عنده، حاولنا إقناعه بارتباطاتنا العملية إلا أنه رفض، نزلنا عند رغبته، فذهب وأخذ "تيس" من وسط أغنامه وذبحه وطبخ الغداء، صلينا الظهر ثم تغدينا عنده وكان الغداء رز وفتة مرق ولحم، ثم أردنا دفع قيمة التيس أو جزء منها إلا أنه رفض بشدة، شكرناه على صنيعه ثم ودعناهم وتحركنا صوب المخا، أخذنا ربط القات والعصائر والماء البارد وتوجهنا صوب عدن التي وصلناها في السادسة مساء.

كان عاما حافلا بالعمل الإغاثي والإنساني وهي المدة التي قضيتها في مركز الملك سلمان، حيث تركت لدي انطباعا جميلا وأضافت لدي تجربة جديدة ومهمة.

الحق أن العام ٢٠١٧ كان حافلا بالأحداث، ففي بداية العام شاركتا في مظاهرات ومسيرات احتجاجية ضد حكومة أحمد عبيد بن دغر في عدن، كانت الجماهير الجنوبية تتجمع في ساحة البنوك في كريتر ثم تتحرك في مسيرات بشوارع مدينة كريتر رافضة الزيادات السعرية على المشتقات النفطية والسلع الغذائية، استمررنا أسبوعا في الاحتجاجات، كان برفقتي الصديق حافظ الشجيفي الذي التقيته في منتصف ٢٠١٦ بمدينة كريتر بعد غياب طويل استمر سنوات، رغم الهزات التي تعرض لها "حافظ"، إذ دخل السجن المركزي بصنعاء مرتين بسبب مواقفه وآرائه السياسية ورغم المعاناة، إلا أنه ظل شامخا كالطود، ينثر أفكاره وإلهاماته الجميلة لمن يريد أن يشق طريقه نحو التغيير ومعانقة السحاب.

كلنا لم نسلم من السجن، إذ تعرضت في العام ٢٠٠٤ للسجن في معسكر الحرس الجمهوري بصنعاء التابع لـ"طارق صالح" بسبب قيامي بتصوير سيارة تعرضت لإطلاق نار بسبب ما قيل أنها اعترضت موكب الرئيس صالح في حدة بصنعاء، ثم سجنت في عدن مرتين، الأولى في ٢٠١٠ في سجن شرطة خورمكسر بسبب قضية نشر صحفي، والآخرى في سجن شرطة دار سعد بسبب اتهامات بتحريض المحتجين على الخروج بسبب انقطاع الكهرباء المتكرر، كما استدعيت للمثول أمام نيابة الصحافة في صنعاء بسبب قضية نشر خبر صحفي حول خلافات بين محافظ عدن ونائبه.

في أواخر العام ٢٠١٧ كنا في زيارة مع وفد إعلامي إلى جبهة طورالباحة حيفان، وصلنا صباحا إلى طور الباحة قادمين من عدن، وتوجهنا إلى منطقة شَعْب التي كانت تحت السيطرة النارية للحوثيين من أعلى قمة جبل الركيزة، وكان سكانها قد نزحوا بالآلاف إلى عدن ولحج وغيرهما، وصلنا شعب الساعة العاشرة صباحا وتوجهنا إلى موقع تواجد القوات العسكرية والقيادة الميدانية لعمل مقابلات إعلامية لعدد من القنوات، وكان موقع تواجدهم في منطقة الرفد بشعب الأوسط، التقينا أحمد عبدالله التركي قائد الجبهة ومثنى زليط مدير أمن طورالباحة وحمدي شكري قائد اللواء الثاني عمالقة، أنجزنا المقابلات الإعلامية معهم وهممنا بالعودة صوب طورالباحة إلا أن أحد الأشخاص – وكان في العقد السادس من العمر – قال لابد أن تزوروا الجبهة في منطقة القبع (على بعد اثنين كيلو متر من الرفد)، وعلى طول أخذنا على طقم عسكري وانطلق بنا إلى الموقع، كان معي حافظ الشجيفي وحسين الفانوس وصحفيون وإعلاميون من عدن.

وبينما نحن نقف عند بئر الماء نشاهد قمة الجبل الذي سيطر عليه الحوثيون فوجئنا بسقوط قذيفة صاروخية كبيرة بجوارنا قادمة من اتجاه الحوثيين، ولكن سلم الله فقد وقعت القذيفة في مكان مليء بالتراب والنيس ولم تنفجر.. طالبنا قائد الجبهة بسرعة التحرك من المكان، فتحركنا على الطقم متجهين صوب طورالباحة، وبعدها علمنا أن الحادث كان مدبرا بالاتفاق بين الطرفين للتخلص منا.

* * *

الحرب على الشرعية

في بداية العام ٢٠١٨ كنت قد بدأت بتأسيس معهد مسارات للتدريب والتطوير، حيث استأجرنا شقة في خورمكسر بالقرب من إدارة الأمن وقمنا بتأثيثها وشراء المكاتب ومعدات التدريب، وبدانا مرحلة جديدة من العمل في مجال التدريب الصحفي والإعلامي وغيرها من التخصصات الإدارية والمهنية الأخرى، كان الإقبال على التدريب لدينا كبيرا وغير متوقع، شخصيا خضت لأول مرة تجربة التدريب في مجال الصحافة، كان معنا الصديق والزميل عبدالله المجيدي مشجعا ومحفزا ويشاركنا في الأفكار، بالإضافة إلى حافظ الشجيفي وآخرين من الزملاء والزميلات، تحول مقر المعهد إلى قبلة للزوار والباحثين عن تنمية مهاراتهم وصقل تجاربهم من الجنسين وأيضا الباحثين عن عمل.

استوعبنا عددا من المدربين في تخصصات مختلفة، وأقمنا شراكات مختلفة مع جهات عديدة، وكانت شهاداتنا الممنوحة للطلاب معتمدة من وزارة التعليم الفني، ومن البورد البريطاني والعربي وجهات عربية ودولية عديدة، أقمنا الندوات عبر مركز مسارات للاستراتيجيا والإعلام وكذا حلقات النقاش في مواضيع إعلامية وسياسية وإنسانية واجتماعية وغيرها، لم ينقطع نشاطنا خلال عام كامل، حيث وصل عدد من تلقوا التدريب في المعهد خلال العام ٢٠١٨ إلى ألف ومئتي متدرب ومتدربة، وإذا أضفنا إليهم المشاركين في الندوات وحلقات النقاش فسيصلون إلى ألف وسبعمائة مشارك ومشاركة.

أقمنا دورات تدريبية في لحج أيضا، وكان هدفنا التوسع صوب أبين وغيرها من محافظات الجنوب إلا أن الإمكانات لم تسعفنا للقيام بذلك.

وبينما كنا في "مسارات" تفجرت الحرب الأولى في عدن بين الانتقالي والشرعية، كانت حربا سريعة استمرت يومين، سيطر فيها الانتقالي على جميع المواقع والوحدات العسكرية، وفرض حصارا على قصر المعاشيق الذي كان ينزل فيه رئيس الحكومة "بن دغر" وعدد من وزراء الحكومة، لكن الحرب توقفت بوساطات خارجية، حوصرنا داخل المعهد لمدة يومين بسبب الاشتباكات العنيفة القريبة منه، اخترقت عدة طلقات نارية بوابة بلكونة المعهد وسكنت في الجدار الداخلي، كانت أيام عصيبة لكنها عدت بسلام.

لم يستمر المعهد طويلا إذ توقف نشاطه في مارس ٢٠١٩ بسبب عدم وجود التمويل الكافي، وبسبب الظروف الصحية الصعبة التي داهمتني بينما كنت منغمسا في العمل.

كانت معنا من الزميلات الأستاذة رنا الحطيبي المدير التنفيذي لمعهد مسارات، التي قدمت أفكارا رائعة شكلت إضافة لعملنا، بالإضافة للأخت أزال عدنان سكرتيرة المعهد التي كانت تعمل دون كلل أو ملل.

كنت في الأول من أكتوبر من العام ٢٠١٨ قد رزقت مولودا جديدا ذكرا سميته "فضل" تيمنا بجده، وكان في الحقيقة فضلا عظيما من الله.

كانت أسرتي قد غادرت إلى القرية قبل ميلاد "فضل" بشهر تقريبا، وبعد توقف العمل في المعهد سلمنا البيت الإيجار لصاحبه وبعنا جزءا من العفش فيما وزعنا الآخر على بعض الجيران والأصدقاء، ثم سلمنا شقة المعهد ونقلنا الأثاث إلى شقة تابعة للصديق فتحي بن لزرق في مدينة إنماء، ثم في وقت لاحق تم بيعهم لأحد الأصدقاء، اشتد بي المرض في أواخر العام ٢٠١٨، وجدت نفسي في القرية هائما وحيدا طريدا وملاحقا إلا أن الله لم يتركني كذلك، فقد أحسست بأن نافذة في السماء تفتح أمامي من جديد، مارست التأمل طويلا وتنقلت بين جبال وشعاب القرية باحثا عن الإلهام، كان الإلهام مصدر قوة وأمل وتطبيب للروح المنهكة، ارتقيت إلى أعلى قمة في جبل الشجح مطلة على الوادي وهناك داومت لمدة شهر على الجلوس والمبيت في جلب صغير بناه أحد الرعيان كنانا من المطر، وكان ملحقا بالجلب سرداب طويل تبيت فيه الأغنام في معظم الوقت، هناك تفرغت للعبادة والتأمل والإلهام هروبا من ضجيج المدينة وقلاقل الناس، ومستمتعا بأصوات العصافير والحجل والطيور الجارحة وغيرها، وحينما كنت أهبط من الجبل إلى الوادي أذهب إلى عمق الوادي في الاتجاه البحري في مكان يدعى "ضبان" وحيدا، إذ شعرت للوهلة الأولى أن المكان مصدر للروحانية التي تتنزل من السماء والتي كانت تمنحني الطاقة الإيجابية للاتصال بالله والحديث معه في شعور لا يوصف، يأخذك فيه الإلهام القادم من أعلى إلى عوالم بعيدة، ويستحضر أمامك مشاريع ومسؤوليات جسيمة، وهناك أيقنت بالله أنه مهما حاول البشر إخماد النور في داخل الإنسان باستخدام المؤثرات الخارجية والأرواح الشريرة فإنه سياتي اليوم الذي يشع فيه النور من جديد ليضيء ما حولك..

"يريـدون أن يطفئـوا نـور اللـه بأفواههـم ويـأبى اللـه إلا أن يتـم نـوره ولـو كـره الكافـرون".

عـدت إلى عـدن في بدايـة العـام ٢٠١٩ لزيـارة الطبيـب ثـم قفيـت عائـدا إلى القريـة مـرة أخـرى، ومكثـت عـدة أشـهر ثـم عـدت للعمـل في صحيفـة "الشـارع" اليوميـة التـي صدرت في تلـك الفـترة مـن عـدن، كنـت سـعيدا للعمـل بجانـب رئيـس التحريـر نايـف حسـان والصحفـي المتألـق علـوي السـقاف والدكتـور باسـم منصـور وآخريـن..

استـمررت بالعمـل في "الشـارع" لمـدة ثلاثـة أشـهر، ثـم انتقلـت للعمـل في صحيفـة "عـدن الغـد" اليوميـة، وهنـاك مكثـت أيضـا ثلاثـة أشـهر، ثـم انتقلـت للعمـل في المركـز الاعلامـي التابـع للمجلـس الانتقـالي عـن بُعـد ككاتـب مقـالات وتحليـلات سياسـية، ثـم غـادرت إلى القريـة في أوائـل العام ٢٠٢٠ ومكثـت فيهـا سـنة ونصـف تقريبـا دفعـة واحـدة، تفرغـت للقـراءة والكتابـة والتأمـل، كان يسـألني البعـض: لمـاذا لا تذهـب مـع الشرعيـة إلى الريـاض؟ وكنـت اجيـب متبسـما: نحـن مـع النـاس، مـع الشـعب، والـذي يقـف مـع النـاس يبقـى بينهـم ويعـاني مـا يعانونـه مـن جـوع ومتاعـب.

تسـتطيع أن تصنـع لنفسـك بصمـة هنـا وهنـاك حتـى وأنـت تُحـارَب بشراسـة مـن خصومـك، الأهـم أن تكـون قـادرا عـلى توطـين نفسـك للعيـش مـع مختلـف الظـروف والأحـوال بعيـدا عـن اليـأس والتذمـر، فالأنبيـاء والعظـماء عـلى مـر التاريـخ كابـدوا المعانـاة وعانـوا شرور الآخريـن، القريـب والبعيـد، لكنهـم صـبروا ثـم انتـصروا.

أحيانـا تكـون المعانـاة والـشرور التـي تصيبـك تدبـيرا مـن اللـه ليجنبـك شرورا أكـبر وأخطـر.. كـن مؤمنـا بـأن مـا يـأتي مـن اللـه فيـه الخـير، لعله أيضـا أعـداد لـك مـن اللـه وتهيئـة لمرحلـة قادمـة حافلـة بالعمـل والإنجـاز والمسـؤولية.

* * *

الحراك في الدولة وإلى الدولة

منذ مايو ٢٠١٧ كان الحراك قد انتقل من العمل الثوري إلى العمل السياسي المنظم المسنود بالمقاومة والعمل الأمني والعسكري، إذ كان تأسيس المجلس الانتقالي بداية لمرحلة جديدة في الجنوب غيرت موازين القوى وأثرت في معادلة السياسة على مستوى اليمن ككل، خاض الجنوبيون منذ ذلك العام الذي تأسس في الانتقالي معارك عديدة ضد الإرهاب وضد الحوثي، في كل من أبين وشبوة وحضرموت في الشرق وعلى الساحل الغربي وفي الحدود الشطرية مع الشمال في مكيراس وكرش والصبيحة والضالع ويافع وغيرها، كل هذه المعارك تكللت بالانتصار، كانت في الواقع مدفوعة بالانتصار الكبير الذي تحقق في عدن وبالدعم الكبير الذي يقدمه التحالف، لاسيما دولة الإمارات العربية المتحدة.

وعلى الرغم من أن الحراك الجنوبي أصبح مشاركا في الدولة منذ ما بعد التحرير، من خلال إدارة الجانب الأمني بعد تشكيل قوات الحزام الأمني والدعم والإسناد وغيرها، وتعيين قيادات منه محافظين لعدة محافظات، اللواء عيدروس الزبيدي محافظا لعدن، والدكتور ناصر الخبجي محافظا لمحافظة لحج، واللواء شلال شائع مديرا لأمن عدن، إلا أن تشكيل حكومة المناصفة في العام ٢٠٢٠ قد شكلت منعطفا جديدا وهاما في مسيرة الحراك، الذي أصبح المجلس الانتقالي – أداته السياسية والعسكرية المنظمة – شريكا أساسيا في الحكومة بخمسة وزراء، إضافة إلى ستة آخرين محسوبين على مكونات وأحزاب جنوبية أخرى، حيث أصبح لدى الجنوب نصف الحكومة لأول مرة في تاريخ العلاقة السياسية بين الجنوب والشمال، وقبل هذا التاريخ كان المجلس الانتقالي قد أعلن الإدارة الذاتية للجنوب وكانت تجربة ناجحة استمرت نحو ثلاثة أشهر، إلا أن اتفاق الرياض استبدل الإدارة الذاتية بحكومة مناصفة بين الجنوب والشمال، لم تستطع حتى اليوم منذ تشكيلها قبل ثلاث سنوات ونصف من تقديم عمل مرضٍ يعالج قضايا الناس، لاسيما الخدمات والاقتصاد المنهار.

في منتصف ٢٠٢١ عدت إلى العاصمة عدن ونزلت لدى الصديق حافظ الشجيفي للسكن في غرفته المتواضعة بمديرية المعلا، كان حافظ هو الآخر متذمرا من الوضع يكتب أفكاره وانتقاداته بصورة مستمرة

في وسائل التواصل الاجتماعي، ويعطي بين الحين والآخر تصريحات للمواقع الإخبارية عن الحلول الممكنة للبلد، تطابقت رؤانا بأنه لا حل إلا في استعادة دولة الجنوب، وكنا مقتنعين بذلك منذ وقت مبكر، لكن عندما التقينا اتفقنا على نشاط وعمل مشترك يخدم هذا الهدف، كنت أنا من الداعمين والمؤيدين للمجلس الانتقالي منذ تأسيسه، واستمر ذلك بعد انضمامي للعمل فيه حيث أصبح العمل مركزا وأكثر تنظيما، أما حافظ فكان قياديا في المجلس الأعلى للحراك الثوري ونائبا لرئيس جمعيته الوطنية، كنا نراقب بحرص واهتمام تجربة الانتقالي والجنوب في الدولة والسلطة، ونقدم أفكارا إيجابية في بعض الأحيان كما نقدم نقدا حيث ينبغي أن يكون النقد.

في الأثناء بدأت أيضا تنشيط موقع مركز مسارات للاستراتيجيا والإعلام على الإنترنت، وفتحت المجال أمام نشر الأخبار والتقارير والدراسات والمقالات والتحليلات التي تركز اهتمامها على الوضع في الجنوب بدرجة رئيسية، مع الاهتمام بالصراع في اليمن ونتائجه السلبية على الناس في الجنوب والشمال معا، ما يزال موقع مسارات يعمل بوتيرة عالية، كما لم تنقطع كتاباتنا للصحف والمواقع الأخرى في الداخل والخارج.

في أبريل ٢٠٢٢ توسعت شراكة الجنوب في الدولة والسلطة الشرعية بعد إعلان التحالف تشكيل مجلس رئاسي بثمانية أعضاء بدلا من الرئيس عبدربه منصور هادي ونائبه على محسن، اللذين تمت الإطاحة بهما من السلطة بعد عقد ونيف من وجودهما في منصبيهما إثر انتفاضة فبراير الشبابية، وبعد ثلاثة عقود من وجودهما في السلطة كشركاء لـ"صالح" في مختلف المحطات التي مر بها البلد.

أصبح اللواء عيدروس الزبيدي واللواء فرج البحسني والعميد عبدالرحمن المحرمي "أبو زرعة" والدكتور عبدالله العليمي أعضاء جنوبيين في مجلس رئاسي يمني برئاسة د. رشاد العليمي.. ومر من عمر المجلس حتى الآن عام ونيف، غير أنه لم يف بوعوده التي قطعها للناس سواء المتعلقة بتحرير الشمال من قبضة الحوثي أو إيجاد حلول لملفي الخدمات والاقتصاد في الجنوب والمناطق المحررة.

يمكن القول إن تعثر شراكة الجنوب في الدولة والسلطة من عمل شيء للناس هو ما يجعل الجنوبيون يفكرون دوما للمضي صوب مشروع

الدولـة الجنوبيـة، فالمجلـس الانتقـالي رغـم شراكتـه مـع الحكومـة الشرعيـة إلا أنـه بـات يطـرح مطلـب فـك الارتبـاط عـن الشـمال الآن أكـثر مـن أي وقـت مـضى، ويقـوم بخطـوات عمليـة في هـذا الاتجـاه.

لم أتمكـن مـن الاسـتقرار في عـدن بصـورة دائمـة، إذ أمكـث أسـابيع ثـم أغـادر إلى القريـة لزيـارة أسرتي، وأمكـث هنـاك أيامـا أو أسـابيع ثـم أعـود إلى عـدن وهكـذا.. ورغـم أهميـة الاسـتقرار إلا أن هـذا لم يمنـع مـن اسـتمرار وتدفـق الإنتـاج الفكـري والإعلامـي والتواصـل مع الأصدقـاء والنـاس بصورة مبـاشرة أو غـير مبـاشرة، إذ أصبحـت وسـائل التواصـل الاجتماعـي تقـرب المسـافات وتفـي بالغـرض في معظـم الأحيـان.

في نوفمـبر مـن العـام ٢٠٢٢ بـدا كـما لـو كنـت سـأخوض تجربـة سياسـية جديـدة، وذلـك بعـد قيـام المجلـس الأعـلى للحـراك الثـوري بعمليـة تصحيـح أسـفرت عـن التوافـق عـلى تعيـين القيـادي الشـاب عبدالـرؤوف السـقاف رئيسـا للمجلـس (وعبدالـرؤوف صديـق قديـم منـذ البدايـات الأولى لثـورة الحـراك)، وبعـد إتمـام الترتيبـات في قيـادة المجلـس أصـدر الرئيـس الجديـد عـدة قـرارات في هيئـات ودوائـر المجلـس عُيّنـت بموجـب أحـد القـرارات رئيسـا للمركـز الإعلامـي للمجلـس، توليـت مهامـا عديـدة، وفي وقـت قيـاسي قدمنـا عمـلا إعلاميـا وسياسـيا مبهـرا لخدمـة الجنـوب وقضيتـه، بشـهادة كثيريـن، كان ممكنـا بـأن يؤهـل المجلـس ليكـون المكـون الجنـوبي الثـاني في السـاحة بعـد المجلـس الانتقـالي.

إن العمـل ضمـن فريـق أو مكـون أو حـزب أفضـل بكثـير مـن العمـل منفردا، العمـل الفـردي يجعـل نشـاطك عرضـة للاسـتغلال مـن قبـل القـوى الأكـثر تنظيـما، كـما يجعـل إنتاجـك عرضـة للسرقـة والسـطو مـن قبـل الآخريـن.. أن تصـب جهـدك وإنتاجـك السـياسي والفكـري داخـل مكونـك أو مجلسـك أو حزبـك هـو أضمـن لأن ينجـح ويثمـر وينتفـع بـه الجميـع فيـما بعـد.

في بدايـة العـام ٢٠٢٣ تـم اختيـاري عضـوا في المجلـس العـام لنقابـة الصحفيـين والإعلاميـين الجنوبيـين وعضـوا في لجنـة الرقابـة في النقابـة، حيـث قـرر الصحفيـون في الجنـوب مؤخـرا أن يكـون لهـم كيـان مهنـي مسـتقل، اختـير الأسـتاذ القديـر عيـدروس باحشـوان نقيبـا لـه.. سـتكون تجربـة ممتـازة في العمـل النقـابي في انتظارنـا في حـال تـم تفعيـل نشـاط النقابـة بصـورة أكـبر في قـادم الأيـام.

إذن الحـراك الجنـوبي مـن خـلال المجلـس الانتقالي أصبـح شريـكا في الدولة

اليمنية، بعد سنوات طويلة من النضال تمتد زهاء ثلاثة عقود، لكنه كما يبدو يريد الانتقال من الدولة إلى الدولة، حيث أصبح الوجود في الدولة اليمنية مجرد مرحلة انتقالية للانتقال صوب الدولة الجنوبية الفيدرالية المستقلة.

التحركات الأخيرة للمجلس الانتقالي كانت خطوات مهمة جدا، والتي بدأت في مايو من العام ٢٠٢٣ بعقد اللقاء التشاوري الجنوبي (أبرز حدث جنوبي منذ العام ١٩٩٠)، والتوقيع على الميثاق الوطني، وإصدار القرارات ضمن هيكلة المجلس الانتقالي والتي بموجبها تكونت هيئة تنفيذية في المجلس ضمت جميع وزراء ومحافظي الجنوب في السلطة الشرعية، فضلا عن تعيين اثنين من أعضاء المجلس الرئاسي كنواب لرئيس المجلس الانتقالي، وكل ذلك مؤشر إلى أن الانتقالي يخطو خطوات عملية صوب الدولة الجنوبية.. ثم جاء اعتماد الميثاق الوطني كدستور لدولة الجنوب القادمة في اجتماع الجمعية الوطنية المنعقد في ٢١ مايو الماضي في حضرموت، ليضع الأمور بكل وضوح في مسار انتقال الحراك من الدولة إلى الدولة (من الدولة اليمنية إلى الدولة الجنوبية)، بعد أن انتقل من الثورة إلى الدولة اليمنية في وقت سابق من الآن.

مهما كانت التحديات أمام الجنوبيين إلا أن الخطوات التي يسيرون عليها باتت تلقى دعما واهتماما دوليا أكثر من أي وقت مضى، ومهما حاولت بعض دول الإقليم اللعب بأوراق كثيرة بما فيها ورقة حضرموت لإعاقة إنجاز الجنوبيين لهدفهم، فإن هذه الدول في الواقع إنما تعمل بدون استراتيجية واضحة حتى الآن، والأمر الآخر ربما أنها تعمل على الضغط لتحقيق مصالحها في الجنوب، وتريد أن تضمن ذلك قبل أن يصبح الجنوب دولة مستقلة، في إطار تسابق المجتمع الإقليمي والدولي المحموم على الجنوب، الذي بات يدرك أن إمكانية إعادة اليمن كدولة واحدة بدأت تتقلص بسبب رفض الحوثيين كل الحلول لإيقاف الحرب وإحلال السلام، فضلا عن كون الحوثي ليس لديه الاستعداد ولا يمتلك مشروعا للانخراط في دولة مدنية ديمقراطية فيها مواطنة وعدالة ومساواة، على عكس الجنوب الذي يعمل على تأسيس تجربة جديدة لإقامة دولة عصرية تتوفر لها كل أسباب النجاح والقبول الإقليمي والدولي.

الأيام القادمة حبلى بالمفاجآت السارة، إذ تنتظرنا في الجنوب خطوات مهمة وحاسمة صوب تحقيق الأهداف والتطلعات، بعيدا عن الشراكة

العرجـاء مـع قـوى سياسـية لم يعـد لهـا حضـور وتأثـير عـلى الواقـع، وقريبـا سـوف تصبـح عـلى الهامـش.

الذهـاب نحـو الدولـة يتطلـب إنجـاز الرؤيـة والخطـوات التـي يمكـن السـير عليهـا صـوب الهـدف، بالإضافـة إلى ضرورة امتـلاك القـدرة والتأهيـل الكامـل للتعامـل مـع الوضـع القائـم وإعـادة تطويعـه فيمـا يخـدم النـاس وتطلعاتهـم الحياتيـة والسياسـية المشروعـة.

* * *

الفصل الثالث

(مقالات مختارة)

من ٢٠٢١ إلى ٢٠٢٣

الصراع بين الحرية والاستبداد..
هل يمكن اعتبار الديمقراطية الأمريكية في المنطقة كذبة كبرى؟

في العالم كله هناك صراع متفاوت بين الحرية والاستبداد، حتى في الدول المتقدمة يوجد هذا النوع من الصراع، فهو إن لم يكن بين القوى المتحررة والمطالبة بالحرية وبين الحكام والسلطات، فإنه يكون بين الأحرار وجماعات المصالح التي تريد التحكم بكل شيء، وتسيطر على المال والإعلام والنفوذ، كما يحدث في أمريكا التي تدعي انها تصدر الحرية والديمقراطية للشعوب والبلدان الأخرى، بينما هي لم توفر لشعبها الحرية الكافية في أن ينتقد أو يرفع صوته ضد السياسات الخاطئة التي ترتكبها بلاده هنا وهناك، بدعم وتحريض من جماعات النفوذ والمصالح الكبرى.

الصراع بين الحرية والاستبداد صراع أزلي ممتد من قديم الزمان، حتى في الدولة الإسلامية التي أقامها رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، فلولا ميزان العدالة والتوازن الذي أرساه النبي العظيم لظهر الصراع بين الحرية والاستبداد، لكن هذا النوع من الصراع اختفى بفعل العدالة التي منحت المجتمع قدرا من الحرية، ومنحت الدولة سن القوانين والتشريعات المستوحاة من القرآن الكريم كلام الله، ومن ذلك تولد التوازن في المجتمع بصورة جعلت من الأمة الإسلامية أمة وسطا، كما وصفها الله تعالى في كتابه العظيم بقوله جل شأنه: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس...».

ولما تحول الملك بعد الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض، ظهرت الحاجة إلى الحرية لدى الجماعات والشعوب، فحدث الصراع بين الحرية والاستبداد في أنصع صورة، وامتد حتى تاريخنا هذا، ويتم التعبير عنه اليوم بأشكال وصور مختلفة.

الحرية لها أوجه عديدة ومختلفة، وما نقصده بالحرية هنا هو حرية الإبداع والبناء والتقدم والإنجاز، التي يعمل الاستبداد على كبتها وتعطيلها كي يبقى جاثما على الأمة ولا يمنحها الفرصة للحاق بالأمم الأخرى، بل يصيرها أمة نائمة تعتمد على غيرها في كل شيء، وغير قادرة على أن تعمل وتصنع وتبدع وتتعلم.

إن صـراع الحريـة والاسـتبداد ليـس فقـط مـن أجـل لقمـة العيـش، بـل مـن أجـل الكرامـة والتطـور والازدهـار، وهـذا الصـراع لا يكـون عبـر المظاهـرات والاحتجاجـات السـلمية فحسـب، بـل عبـر كل الأشـكال والأدوات التـي خلقتهـا ثـورة المعلومـات وأوجدتهـا التكنولوجيـا المتطـورة وطورهـا العلـم.

حـارِب الاسـتبداد والظلـم والديكتاتوريـة، ليـس بالكلمـة فحسـب، بـل أيضـا بالسـلوك والمواقـف النبيلـة التـي تصلـح كـي يقتـدي بهـا النـاس، وتتحـول إلـى حالـة إلهـام.

حـارِب الاسـتبداد فـي الإعـلام والإعـلام الجديـد، وعبـر التعليـم والرياضـة والفـن والأدب، وكل أشـكال الإبـداع.

كل الفـرص المتاحـة انفِـذ منهـا لإيصـال رسـالتك للنـاس، وعلينـا ونحـن نفعـل ذلـك أن نتذكـر دائمـا أن الحريـة التـي ننشـدها ينبغـي أن لا تتحـول إلى فوضـى، كمـا هـو الحـال فـي عـدد مـن بلـدان الثـورات، التـي تـم اسـتهدافها بثـورات مضـادة لتعطيـل وتدميـر أدوات التغييـر، ومنعهـا مـن الاسـتمرار صـوب البنـاء والإصـلاح، وتحويلهـا إلـى أدوات صـراع وهـدم.

فـي منطقتنـا العربيـة حيـث تـم وأد الثـورات وكبـت تطلعـات الجماهيـر نحـو التغييـر والبنـاء، وإعـادة صياغـة أنظمـة جديـدة حسـب الطلـب الخارجـي، سـتبقى النـار مشـتعلة تحـت الرمـاد حتـى تتيسـر لهـا الأجـواء والظـروف للاشـتعال والخـروج مـن جديـد، إذا لـم يتـم معالجـة مشـاكل الاسـتبداد، وفتـح المجـال أمـام الشـعوب كـي تبـدع وتتطـور وتـأكل وتعيـش بكرامـة كغيرهـا مـن الشـعوب فـي دول العالـم، ويتحقـق لهـا الأمـن والاسـتقرار.

المؤشـرات تنبـئ بالمزيـد مـن موجـات الاحتجاجـات والتظاهـرات، إن لـم تكـن اليـوم ففـي المسـتقبل، فالشـعوب وإن كانـت هـي المسـتهدف الرئيـس اليـوم مـن الحـروب واختـلاق المشـكلات الاقتصاديـة والمعيشـية، لكبـح جماحهـا وإشـغالها بلقمـة العيـش والبحـث عن الأمـن والاسـتقرار، فإنهـا لـن تستسـلم ولـن تخضـع مهمـا كان حجـم المؤامـرات عليهـا.

فالحريـة فتيّـة وقويـة وقـادرة علـى اسـتعادة نشـاطها مـن جديـد، والاسـتبداد متخـم بالظلـم والفسـاد، وأصبـح مترهـلا وغيـر قـادر علـى المقاومـة بصـورة أكبـر وأطـول، وعلينـا أن نتوقـع سـقوطه فـي أيـة لحظـة.

تريـد الأنظمـة والمجتمعـات المتقدمـة أن تعيـش حـرة، بينمـا هـي تدعـم

الاستبداد في دول العالم الثالث، تختار هذه المجتمعات حكامها عبر صناديق الاقتراع، كما يحدث في أمريكا وأوروبا، بينما تمنع هذه الحكومات المنتخبة من الشعب الانتخابات الحرة في بلداننا العربية، وترفض الحكومات والرموز المنتخبة من الشعب إذا كان ذلك لا يوافق هواها أو لا يخدم أجندتها.

المفارقة العجيبة أن هذه الأنظمة المنتخبة في الغرب تدعم الاستبداد في منطقتنا وترفض الحرية والديمقراطية، في حالة من التناقض العجيب.. لذا يمكن اعتبار الديمقراطية التي تدعي أمريكا تصديرها للمنطقة بأنها كذبة كبرى، لذلك يبقى الصراع لدينا قائما بين الحرية والاستبداد، ليس الاستبداد المحلي فحسب، بل الاستبداد الخارجي الذي يعربد في المنطقة بكل صلف.

الإسلام أيام الرسالة الخالدة والخلافة الراشدة، حينما فتح الأمصار والأقطار والدول، كان يقيم العدالة وينشر الحرية والأمن والاستقرار في المدن والدول الجديدة، ولم يكن يحتكر العدالة والحرية في مكه أو المدينة أو دمشق، بل ملأ الدنيا عدلا وأمانا وحرية وحضارة وتقدم، على عكس ما تفعله الحضارة الغربية اليوم التي تحتكر العدالة والديمقراطية والحرية والتقدم في بلدانها، بينما تصدر للعالم الاستبداد والقيود والإرهاب.

لقد أصبحت القيم الغربية كالحرية والديمقراطية بضاعة فاسدة وراكدة في المنطقة العربية، لأنها لم تمنح لحياة وازدهار الشعوب والدول، وإنما لإثارة الفوضى وللمزيد من الاستبداد والهيمنة وفرض القيود والابتزاز، وأي حضارة تمارس هذا العمل مع شعوب ودول العالم، فإن مصيرها إلى الزوال لا محالة.

سيظل الصراع بين الحرية والاستبداد قائما ما دامت الشعوب تعاني الظلم والفقر والحرمان من أبسط حقوقها، وتعيش حالة من التخلف، وتقف أمامها العقبات والحواجز التي تعيق حركة تطورها ونموها.

هناك دول خارج المعسكر الغربي تمثل نماذج حية للانتصار في معركتها ضد الاستبداد، حينما أرست قواعد حقيقية للحرية، التي أنتجت بدورها ديمقراطية متقدمة استطاعت من خلالها اختيار حكامها عبر صناديق الاقتراع، ووضعت أقدامها على سلم التطور والتقدم، ومن أبرزها تركيا وماليزيا وسنغافورة.

وفي امريكا الجنوبية نماذج أخرى استطاعت أن تنجح رغم المعارضة والضغوطات الأمريكية والغربية، ومن أبرزها فنزويلا والبرازيل، وتعد هذه الدول المذكورة نماذج ملهمة في التقدم السياسي والتطور والنمو الاقتصادي المزدهر.

إن النضال من أجل الحقوق السياسية والإنسانية يجب أن يستمر في كل الظروف والأحوال، إذا ما اعتبرنا أن الصراع بين الحرية والاستبداد هو صراع وجودي قبل كل شيء، وإذا استطاعت الشعوب والقوى الحية انتزاع إصلاحات جوهرية في منظومة الحكم، يعزز من نجاح وحضور الديمقراطية التي تتيح الفرصة أمام الجميع للمشاركة والنجاح، فإن تلك ستكون خطوة متقدمة قد تغير شيئا من الواقع في منطقتنا إلى الأفضل، وسيؤدي ذلك إلى اتساع مناخ الحريات، التي بدورها ستلعب دورا كبيرا في إنتاج شروط وأدوات جديدة للنهضة التي تتطلع إليها الشعوب صاحبة المصلحة العليا في التغيير والتقدم والازدهار.

سيظل الصراع بين الحرية والاستبداد مستمرا بأدوات وأشكال وصور مختلفة، فكلما ذهبت رموز وأحزاب مستبدة جاءت غيرها، إذا ما علمنا أن العقليات الحاكمة والأحزاب في منطقتنا عصية على التغيير، وهي تمارس الاستبداد والإقصاء حتى وإن كانت بعيدة عن السلطة، فكيف حينما تصل إليها؟!

وإذا نظرنا للأحزاب نجدها غير قادرة على التغيير في داخلها، فقياداتها مضى لها عقود طويلة لم تتغير، وتمارس الديكتاتورية والاستبداد على الجماهير، بينما هي تطالب بتغيير الأنظمة المستبدة..!

الجماهير تريد القطيعة مع الدكتاتورية والاستبداد، وهذا لن يحدث إلا بامتلاك شروط وأدوات الحرية، واستمرار النضال دون كلل ولا ملل، وتوحيد الأهداف والتطلعات والغايات، وعدم السماح للاستبداد بشق صف الجماهير أو اختراقها لحرف مسارها، أو السماح للأحزاب المستبدة والعميلة باختطاف نضالات الناس والمتاجرة بها.

■ (نُشِر في موقع مركز مسارات للاستراتيجيا والإعلام)

* * *

التغيير الممنوع في اليمن

مر نحو عقد ونيف على الثورة السلمية الشبابية في اليمن، كما مرّ نحو عقد ونصف العقد من ثورة الحراك السلمي في جنوب البلاد، وكل ما تحقق لتلك الثورة الشبابية أن علي عبدالله صالح وعائلته ذهبوا عن السلطة وبقي حزبه شريكاً فيها، وكل ما تحقق لثورة الجنوبيين أن الجنوب تحرّر من قوات نظام «صالح» التي فرضت عليه وضعاً بغيضاً منذ حرب صيف ٩٤ المشؤومة.. لكن التغيير إلى الأفضل لم يتحقق كما كانت تنشده الثورتان وتتطلع إليه الجماهير.

لا يزال معظم الشمال بيد جماعة الحوثي الكهنوتية، ومعظم الجنوب بيد أبنائه وبيد السلطة القائمة في عدن (المجلس الانتقالي والشرعية)، لكنه يعيش أزماتٍ متفاقمة منذ سنوات، أبرزها الأزمة الاقتصادية الناشئة عن تدهور صرف العملة المحلية مقابل النقد الأجنبي، الذي نتج عنه ارتفاع أسعار السلع الغذائية والاستهلاكية والمحروقات والمواصلات وغيرها.

لم يحدث أي تغيير حقيقي في حياة الناس، بل ازدادت الأوضاع سوءا، فالتغيير الذي حدث في الوجوه فقط لم يقد إلى تغيير في الإدارة وفي تحسّن معيشة الناس، وبالتالي هو تغيير ناقص لا أهمية له ولا قيمة.

لا يزال التغيير الحقيقي ممنوعا في اليمن كما يبدو.. لقد بشّر مجلس القيادة الرئاسي فور إعلان تشكيله في إبريل/ نيسان ٢٠٢٢ بالتغيير وإيجاد حلول لقضايا الناس المهمة والعالقة والمتراكمة، وأولها قضية الاقتصاد المنهار والخدمات المعدومة، لكن ذلك لم يتحقق، رغم مرور عام ونيف من يوم تسلم المجلس مهامه.

قبل أربع سنوات، بشّرت الحكومة أيضا بأنها تمتلك مشروعا لحل المشكلات العالقة، وتحسين معيشة الشعب والخدمات الضرورية، غير أن وعودها ذهبت أدراج الرياح هي الأخرى، وأصبحت عاجزة عن فعل شيء، وهي ترى الانهيار يحدث يوميا أمام أعينها ولم تحرّك ساكنا.

يدفعنا هذا كله إلى التساؤل: هل التغيير في اليمن ممنوع؟ ومن الذي يمنعه؟.. ما يحدث أمر عجيب، وكأن في الأمر شيئاً غير طبيعي، إذ

لم تُحدِث السلطات المتعاقبة التغيير الذي وعدت به، ولم تستطع منع التردي الذي يعطل المؤسسات، ويهدد البلد وجوديا.

من يمنع التغيير في اليمن، لا سيما في المناطق المحرّرة؟ هل السلطات لا تريد التغيير والإصلاحات؟ أم هناك قوى خارجية تمنع إحداث تغيير حقيقي ومنطقي في البلد، وتمنعه من التحرّك والنهوض للاعتماد على نفسه؟ هناك شيء غير مفهوم يحدث في هذا البلد الجميل والغني يؤخّر ازدهاره وتقدّمه واعتماده على إمكاناته الذاتية.

لا نستطيع إلا أن نقول إن التغيير ما زال ممنوعا في اليمن، ولكن إلى متى؟! ربما إلى أن تتوفر قيادة وطنية غير مرتهنة للخارج، تستطيع كبح التدخلات الخارجية في البلد، التي يرى يمنيون كثيرون أنها السبب خلف كل ما يحدُث، ولكنها قطعا ليست السبب كله، لأن اليمنيين يتحملون أيضا جزءا من المسؤولية عما يجري في بلدهم، وما يعانيه شعبهم.

كان الناس يأملون أن تتحول عدن والمناطق المحررة إلى نموذج ملهم في النجاح والتنمية، ولكن مرّت أكثر من ثمانِ سنوات منذ التحرير، ولم يتحقق شيء على الأرض وفي حياة الناس، بل ازداد الوضع سوءا وتوسّعت رقعة المعاناة.

تتحمل السلطات المتعاقبة في البلد، إلى جانب «التحالف»، مسؤولية ما يحدث. لا يمكن إعفاؤهما من المسؤولية ورميها على جهات أخرى أو على الأشباح.. عليهم أن يعترفوا أنهم فشلوا أولا وأخيرا، ولا يزال الوقت أمامهم للإصلاح إن أرادوا.

■ (نُشِر في موقع وجريدة "العربي الجديد" اللندنية)

* * *

التغيير من بوابة الثقافة

يولد الإنسان نقيا طاهراً، ولكن مع مرور الأيام ينمو ويكبر ويدلف إلى حياة جديدة لها سلوكيات وممارسات عديدة تبدأ تشكل وعيه وثقافته الخاصة به، فهناك حياة الأسرة، وهناك حياة المدرسة، وهناك حياة المجتمع، وهكذا يبدأ الإنسان في مرحلة الاكتساب، يكتسب من هنا وهناك لتتكون لديه مجموعة من السلوكيات والممارسات والعادات، وهذه العملية تسمى الثقافة في مفهومها السهل والمبسط.

ليست الأسرة فقط المسؤولة عن تنشئة الفرد رغم دورها الكبير في ذلك، فهناك أيضاً المدرسة والمجتمع، كما أشرنا.. وهناك ما هو أهم، وهو السلطة الحاكمة التي تؤثر سلباً أو إيجاباً في الثلاثة المحاضن التربوية التي ذكرناها، ولا ننسى أيضاً دور المسجد فهو محضن تربوي مهم، غير أنه يقع أيضاً تحت تأثير السلطة ويصبح موجهاً من قبلها، إلا في حالات نادرة يكون حراً وملهماً.

إن الشعوب الحية التي تقارع الظلم والفساد والاستبداد، وتعمل من خلال عملية التغيير على إقامة الحق والعدل والمساواة والصلاح، هي شعوب تأثرت بثقافة معينة متحررة من القيود والأغلال والكوابح، وهذا قد يكون انعكاساً للتربية والتنشئة، وقد يكون ناتجاً عن وجود رموز أو نخب ثقافية وفكرية حرة قادرة على تشكيل الرأي العام وقيادته نحو التغيير إلى الأفضل، فضلاً عن درجة الوعي لدى النخب الحاكمة التي تتيح مساحة من الحرية وتستجيب لمطالب التغيير والإصلاح.

في الأنظمة المستبدة والفردية يصبح التغيير أمراً صعباً ومعقداً بسبب تدمير وإفساد حواضن التنشئة والتربية الثقافية التي ينشأ فيها الفرد، وصولاً إلى تضييق مساحات الحرية أمام النخب والمفكرين والمثقفين والقدوات الذين تفتح أمامهم السجون، أو يتعرضون للعقاب والتدمير والتشويه بصور سلطوية مختلفة.

وما هو أهم، فإن السلطة الفاسدة تسعى إلى إفساد المجتمع أيضاً، لتتقي بذلك أية محاولة للنهوض أو التغيير من داخله. وفي مجتمعاتنا ودولنا النامية هناك عوامل خارجية أيضاً تساهم بصورة سلبية في جعل التغيير والإصلاح العام ممنوعاً بصورة أو بأخرى.

لا ننسى أيضاً دور وسائل الإعلام التي تضخ آلاف المعلومات والقصص التي تؤثر في كل بيت وفي ترتيب أولويات الناس عادة، وتحدد اهتماماتهم بالصورة التي تريدها السلطات أو المخرج أو الممول، ولا توجد في الواقع وسائل إعلام حرة ومستقلة إلا في الحد المحدود للأسف.

أما وسائل التواصل الاجتماعي ـ وهي الأكثر انتشاراً وتأثيراً اليوم ـ إذا لم تلعب الثقافة دور الضابط والموجه الإيجابي لما ينشر فيها، فإن المسألة تتحول إلى فوضى لا تنتج إلا الفوضى، وإلى ما لا نهاية.

إذن، الثقافة هي عمود مهم من أعمدة التغيير في أي بلد أو أمة، فإذا كانت الثقافة سلبية فإننا سنحصد الدمار والخراب، وإذا كانت إيجابية فإننا سنحصد التطور والتقدم على كل المستويات.. لذا فإن علينا إصلاح الفرد وإعداده بصورة جيدة وتوعيته وتثقيفه ليكون صالحاً ومساهماً في خدمة التغيير والخير والصلاح، ورفض الظلم والفساد والباطل أينما كان. علينا أيضاً الاهتمام بالمبدعين والمفكرين والحفاظ عليهم، وتأهيلهم بصورة ممتازة تمكنهم من الإنتاج وتحويل مشاريعهم وأفكارهم إلى حالة إلهام إيجابية للناس.

الثقافة والحرية صنوان لا يفترقان أيضاً، وبهما يتحقق الإبداع والإلهام، ويحدث التغيير المنشود في المجتمع والدولة والأمة.

ما فائدة التثقيف والتوعية الثقافية إذا لم يكن هناك إنتاج ويكون هناك تغيير وتقدم وتطور؟! سيصبح الأمر وكأننا نحرث في بحر، مع العلم أن الوصول إلى التغيير الأفضل هو عملية تراكم ثقافي ونضالي وتجارب، إن جاز التعبير.

■ (نُشِر في موقع مركز مسارات للاستراتيجيا والإعلام)

* * *

عندما تتخلى الدولة عن وظائفها تفقد وجودها في حياة الناس

ماذا تعني الدولة في حياة الشعوب؟ الدولة هي الكيان الذي يحمي الشعب، وللدولة وظائف عديدة تديرها السلطة الحاكمة المكونة من حزب أو عدة أحزاب أو مجلس أو مكونات أو غيرها من الأدوات والمسميات السياسية.

وظائف الدولة هي حماية الشعب أمنيا وخدميا، وتوفير سبل العيش والرفاهية له، ودفع المرتبات، وتوفير التعليم والتطبيب وغيرها، من يؤدي هذه الوظائف ويدير شؤون الناس هي السلطة، وحينما تكون هذه السلطة فاسدة أو جاهلة بإدارة الدولة تتعطل وظائف الدولة وتتحول حياة الناس إلى مأساة وجحيم، وبالتالي تفقد الدولة وجودها وتأثيرها وهيبتها في حياة الناس أو الشعب، وتدخل فيما بعد في خانة الدولة الفاشلة.

هناك نماذج كثيرة في دول عديدة، لا توجد دولة قائمة بوظائفها المتعارف عليها، وإنما سلطة اختطفت الدولة وحولتها إلى أداة من أدواتها لاستغلال الشعب، ومراكمة الأعباء عليه، وممارسة الظلم في حقه، لأن الثابت هو أن تكون السلطة أداة من أدوات الدولة وليس العكس، كما حدث ويحدث لدى نماذج كثيرة هنا وهناك.

الدولة التي لا تستطيع دفع رواتب موظفيها، ولا تستطيع تقديم الخدمات الحكومية لهم كالتعليم والصحة على سبيل المثال، هي دولة فقدت وظائفها ووجودها، وتحولت السلطة التي تديرها إلى مجرد عصابة، عطلت وظائف الدولة لكي تقوم ببيع الخدمات للناس عبر وكلائها أو عبر السوق السوداء، أو بأي طريقة أخرى، وهذا ما يحدث في دويلة الحوثيين في صنعاء، حيث لا توجد دولة ولا يمكن أن تكون في المستقبل، وما هو موجود مجرد سلطة تحكم الناس بالقوة والقبضة الأمنية، ليس لحمايتهم ولكن لكي تنهبهم وتمارس عليهم السطو والجبايات وغيرها.

في عدن، وفي ظل حكومة معين عبدالملك، فنحن نسير في الطريق الذي سلكه الحوثيون مع الدولة، إذا لم نتلاحق الأمر ونعمل على إحداث التغييرات الشاملة داخل كيان الدولة، بحيث تستطيع أن تقوم بوظائفها على أكمل وجه..

إذا لم تُحسِّن الدولة وظائفها وترتقي في تقديم الخدمات للناس، وتحصيل المال العام من أوعيته المختلفة وتوريده إلى البنك المركزي أو بنك الدولة، وتمنع أو تحد من الفساد المستشري، فقد يأتي يوم تعجز فيه الدولة عن دفع المرتبات، وبالتالي تنتفي أهم وظيفة من وظائف الدولة، ويتحول معها الأمر إلى فوضى، وقد تضطر معها الحكومة إلى إيقاف الخدمات أو خصخصتها أو إنشاء مولدات تجارية في الحارات والمدن لبيع الكهرباء كما يفعل الحوثيون، وهنا ينهار كل شيء وتصبح الدولة والشعب في خبر كان.

علينا أن نتدارك الأمر في الجنوب، ينبغي أن لا نترك الأمور تمضي بهذه الطريقة، لا بد من الضغط لإحداث التغيير، وإعادة وظائف الدولة وهيبتها في حياة الناس، ينبغي الاهتمام بموارد الدولة، ومنع الفساد والعبث الذي يحدث، كي نضمن استمرار دفع المرتبات، وتحسين مستوى الخدمات في هذه الفترة، لاسيما الكهرباء والمياه على أقل تقدير.

في الجنوب ليس أمامنا خيارات كثيرة، ولا وقت للتعامل مع الوضع المتردي، علينا أن نحزم الأمور الآن قبل أن لا نستطع أن نفعل شيئا فيما بعد.

■ (نُشِر في صحيفة "الأيام" اليومية)

* * *

هل كان الجنوب بحاجة إلى الحرب لينتصر ؟

يقال طبياً إن سموم الأفاعي يمكن أن تستخدم في بعض الأوقات كأمصال لعلاج الكثير من الأمراض لدى الإنسان، وهكذا هو الحال مع الأفاعي البشرية، حيث يمكن أن تستخدم سمومها لعلاج الأمراض لدى الأوطان والإنسان معا.

هذا ما حدث في الجنوب فعلا بعد عقود من الاحتلال والاستبداد المفروض بقوة حرب ٩٤، وبعد أن تحول ذلك الاحتلال والاستبداد إلى مرض ينهش في جسد الجنوب وفي أجساد شعبه، جاءت حرب مارس ٢٠١٥ التي شنها تحالف صالح والحوثي لتعيد الحياة من جديد لجسد الجنوب المريض والمنهك، بعد ثلاثة أشهر من المقاومة الباسلة داخل العاصمة عدن ومدن ومناطق الجنوب المجاورة.

هل كان الجنوب بحاجة للحرب كي ينتصر؟ نعم كان بحاجتها تماما.. وهل استُدرج صالح والحوثي لدخول عدن؟ نعم استدرجوا تماما، من الذي استدرجهم؟ أجزم أن الله هو من استدرجهم إلى تلك المعركة في عدن والجنوب ليضع حدا للاحتلال والظلم الذي عاناه الجنوبيون منذ عقود.

كيف حدث ذلك؟

لم تكن هناك من إمكانية لاستعادة الجنوبيين أرضهم إلا عبر حرب ثانية وجديدة، وهو ما كان في العام ٢٠١٥، ففيما اعتبر صالح والحوثي أن حربهم تلك هي للانقضاض على الجنوب مرة أخرى، عبر غطاء ملاحقة هادي والإصلاح والدواعش، كانت الحرب في الأساس استدراج لصالح وحليفه من حيث لا يدرون، لأنه كانت هناك ما تزال ألوية ومعسكرات صالح في عدن ومناطق الجنوب الأخرى، كما هي منذ الحرب الأولى في صيف ٩٤، ولم تكن هناك من إمكانية لإسقاط هذه الترسانة العسكرية وطردها من الجنوب إلا بحرب جديدة يتوحد فيها الجنوبيون جميعا، وهو ما حدث في ٢٠١٥، فعلى الرغم من سقوط «صالح» من الحكم إلا أن ترسانته العسكرية وأجهزته الأمنية الاستخباراتية ظلت موجودة بعدن والجنوب، وكان «الإصلاح» يتعامل معها باعتبارها تركة ورثها من «صالح» ووفر لها الحماية من خلال وجوده في السلطة عقب ثورة الشباب فبراير ٢٠١١، وكان

«الإصلاح» يريد السيطرة عليها لاستخدامها ضد الحراك والجنوب كما استخدم الأمن المركزي أيام محافظ عدن الأسبق وحيد رشيد.

لقد استُدرج «صالح» فعلا إلى الحرب والدخول إلى عدن ومناطق الجنوب المجاورة، لتأتي المقاومة الشعبية الجنوبية وبدعم من التحالف العربي، وخلال ثلاثة أشهر من القتال لتنهي كل أحلام «صالح» وآماله في البقاء والسيطرة على الجنوب، وتطرد جميع قواته ومعسكراته وأجهزته التي هربت معظمها من ميدان المعركة وبعضها استمر في الحرب داخل عدن حتى انهِكت وهُزِمت، وتسببت هزيمة هذه القوات وخروجها من عدن ولحج والعند وأبين وشبوة والضالع إلى إنهاء أيضا أحلام كل القوى الشمالية من البقاء والسيطرة على الجنوب بما فيها الحوثي و»الإصلاح»، وليضع بعدها الجنوبيون أياديهم على أرضهم وبلدهم بعد ثلاثة عقود من النضال والثورة والمقاومة.

نعم، لقد كان الجنوب بحاجة لهذه الحرب ليحرر عدن ومحافظات جنوبية عديدة من القوات الشمالية المحتلة، وليعيد ـ بمساعدة التحالف العربي ـ بناء ألوية عسكرية وأجهزة أمنية جديدة باتت تعرف اليوم بالقوات المسلحة الجنوبية، أمنية وعسكرية.

والمحافظات التي ما تزال فيها قوات شمالية كوادي حضرموت والمهرة، هي في طريقها إلى التحرير وخروج هذه القوات بالسلم أو بالقوة، فلا يمكن لهذه القوات أن تستمر في ظل الرفض الجنوبي الرسمي والشعبي لها.

إذن، الجنوب يهزم جميع خصومه دفعة واحدة، صالح وحزبه، والحوثي والإصلاح، ويمضي في ترتيب بيته الداخلي من كافة النواحي سياسيا وعسكريا وأمنيا، ويحقق نجاحا في إدارة الدولة عبر تجربة المجلس الانتقالي في السلطة، رغم التحديات الكبيرة والمعقدة، فضلا عن التحولات التي حدثت مؤخرا عبر اللقاء التشاوري والميثاق الوطني والقرارات التي أصدرها الرئيس القائد عيدروس الزبيدي رئيس المجلس الانتقالي، كل هذا يعمل نقلات مهمة على طريق تحقيق تطلعات شعبنا في الخلاص، ناهيك عن ما أقرته الجمعية الوطنية من اعتماد الميثاق الوطني كدستور للدولة الجنوبية القادمة، كل هذه التطورات المتلاحقة لها أصداء إيجابية داخلية وخارجية، فإرادة الشعوب لا تقهر كما تثبت ذلك جميع التجارب، وأي قوة وفعل سياسي مسنود بإرادة شعبية لابد

من أن يحقق هدفه ومبتغاه اليوم أو غدا.

والثابت أنه أصبح الشمال يهددنا بالحرب اليوم بعد كل هذه التحولات في الجنوب، أما الحوثي فإنه يقول الوحدة أو الموت، وهو الذي يعتبر خنجرا مسموما في خصرها.

إن أي مغامرة شمالية تجاه الجنوب ستكون غير محسوبة العواقب، وربما ستكون استدراج جديد، سيدفع إخواننا الشماليون المتواجدون في الجنوب ثمنه، فالجنون لن يقابله إلا جنون أكبر، وربما يعتبر بعض الجنوبيين أن الفرصة حانت للتخلص بصورة كاملة من الاحتلال والاستعمار معا.

■ (نُشِر في صحيفة "الأيام" اليومية)

* * *

لن نكون بديلاً لـ «الأيام»

عندما قررت صنعاء إنشاء صحيفة في عدن تحت اسم «أخبار عدن» العام ٢٠٠٩، لتكون مع مرور الأيام بديلة لصحيفة «الأيام» اليومية، التي أزعجت حكام صنعاء بتغطياتها المهنية والمكثفة لثورة الحراك السلمي، اجتمعت لأول مرة مع إدارة الصحيفة بعد أن وقع عليّ الاختيار لتأسيس وترؤس الصحيفة الجديدة، وأخبرتهم بأنه من الصعوبة أن نجاري «الأيام» أو أن نكون بديلاً لها، فـ»الأيام» صحيفة يومية ومدرسة صحفية كبيرة عمرها ما يزيد على نصف قرن، متجذرة في وعي واهتمامات الإنسان اليمني جنوبا وشمالا معاً.

بدأنا العمل في صحيفة «أخبار عدن» الأسبوعية في ظل تنامي موجة الحراك السلمي، وتعقد المشهد جنوباً بسبب ممارسات النظام الخاطئة في التعامل مع الثورة الجنوبية، فوجدنا أنفسنا أمام تحدٍ كبير، إما أن نواكب حركة الشارع ونقوم بتغطية الأحداث التي تحدث في عدن والجنوب، في ظل رفض اصحاب الصحيفة، وإما أن نرضخ للسياسة التي أرادوها ونصبح معزولين، وتصبح الصحيفة معزولة لا يهتم بها أحد على الأقل في عدن.

خضنا التحدي وكان أول عدد من الصحيفة يحمل أخباراً عن فعاليات الحراك وتصريحات لعدد من قياداته، أتذكر تصريحاً للدكتور ناصر الخبجي وضعناه في الصفحة الأولى، وهو ما أثار انزعاج الجماعة وحنقهم، ومن العدد الثاني بدأوا يرسلون لنا مقالات وأخباراً ضد الحراك وفيها تسفيه لقياداته وناشطيه، ولكننا كنا نرفض نشرها والتعاطي معها، وقررنا كطاقم للصحيفة بأن نلتزم المهنية والموضوعية في تغطية الأحداث، وأفسحنا مساحة للرأي، ولكنه الرأي الملتزم الذي لا يعرض الصحيفة وطاقمها للمشكلات والملاحقات.

كانت «أخبار عدن» بالنسبة لنا تحدياً كبيراً، وكنا نعرف أننا سوف نخسر علاقتنا بمسؤولين كثر، وسوف نخسر حظوات وامتيازات كثيرة، لكن ذلك لا يهم ما دمنا سنكسب مهنتنا وشرفها في المقام الأول، وثانياً علاقتنا بالناس العاديين الذين تبنينا قضاياهم وعملنا من أجلهم.

لن أغوص في الشرح طويلاً، ولكنني أؤكد بأننا اختلفنا مع الجماعة

وحدث ما حدث بعدها، لكن الأهم من ذلك هو ما حدث لصحيفة «الأيام» في ذلك العام، ٢٠٠٩، من اقتحام مقرها وقتل حراسها واعتقال ناشرها واثنين من أبنائه. وفي تلك الليلة العصيبة أرسلت لنا إدارة الأمن، بقيادة عبدالله قيران، صور اقتحام «الأيام»، وفيديوهات ومقالات كيدية ضد الصحيفة، وطلبوا منا نشرها في عدد الصحيفة الجديد، ما الذي حدث؟ رفضنا وبشدة نشر ما وردنا من إدارة الأمن، وأخبرناهم بأننا متضامنين مع «الأيام» وناشرها وإدارتها، وأغلقنا الحديث معهم.

كنا مؤمنين برسالتنا الصحفية حتى ونحن نعمل مع الرئيس «صالح»، لم تُخِفنا تهديدات ضباطه ولا تقارير مخبريه، كان لدينا مشروع عملنا من أجله وعبرنا عنه في عملنا الصحفي والإعلامي وما زلنا.. صحيح دفعنا ثمناً باهظاً وما زلنا ندفع، لكن ذلك لن يهم ما دمنا راضين عن أنفسنا وعن ما قدمناها لبلدنا.. أخفقنا وأصبنا وتلك سنة الحياة.. لكننا لم نرضخ لمشاريع الخراب، ولم نكن مطية للعمل ضد شعبنا أو الإساءة لأحد.. والأجمل أننا لم نكن بديلاً لـ»الأيام»، تلك المدرسة التي تعلمنا فيها أبجديات الحرف والكلمة، ولكن الأهم أيضاً أننا عملنا من «أخبار عدن» صحيفة مميزة وجديرة بالاحترام، تم القضاء عليها بأيادٍ عابثة وطائشة، مثلما تم القضاء على الوطن.

■ (نُشِر بموقع صحيفة "النداء")

* * *

مع السلام الذي يقطع دابر الحروب

قلت لعدد من وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية تواصلت معي خلال الأيام الماضية، إننا جميعا مع السلام، وأن الشعب اليمني أولا وأخيرا مع السلام، لكنه السلام الذي يقطع دابر الحرب إلى الأبد، لا السلام الهش الذي يعيد إنتاج الحروب من جديد بمجرد التوقيع عليه.

ومن هنا، علينا أن نؤكد أنه على الجميع تحمل مسؤولياته لما صار إليه البلد، وما صار إليه الشعب خلال السنوات الثمان الماضية، وأقصد هنا أطراف الحرب، ينبغي أن نقف بواقعية وعقلانية لتحديد المسؤولية القانونية والأخلاقية لكل طرف شارك في الحرب، وعدم السماح لهذا الطرف أو ذاك بالتملص أو التخفي خلف يافطات مختلفة، لا سيما ونحن نرى ما صار للبلد من دمار وخراب كبيرين، في البنية التحتية العامة والخاصة، التي استغرق بناؤها عقودا من الزمن.

البلد بحاجة إلى إعادة إعمار، والشعب بحاجة لتعويضات حقيقية جراء المعاناة الإنسانية التي عاشها من دون مرتبات أو حقوق طبيعية وقانونية، فالكثير فقدوا اعمالهم، والكثير عاشوا حياة البؤس والتشرد في مخيمات النزوح، ومن فقدوا أهاليهم وأبناءهم وأقاربهم، سواء عبر الهجمات الخاطئة، أو الذين فقدوا أرواحهم في المعارك، وتعرضوا للإصابات التي أقعدتهم عن الحركة وغيرها، وما زالوا يعانون إلى اليوم، كل هؤلاء بحاجة للتعويض وجبر الضرر.

وفي السياسة تبقى القضية الجنوبية في صدارة القضايا الوطنية، فهي مفتاح السلام ومفتاح الحل الشامل، وأي محاولة للالتفاف عليها أو الانتقاص منها ومن تضحيات شعبنا في الجنوب، سيعيد الجميع للمربع الأول، وسيكون الخاسر الأكبر هو اليمن دون سواه.

الجنوب اليوم في موضع قوة وليس في موضع ضعف كما قد يتهيأ للبعض، وكما يحاول الإعلام المعادي تقديمه، فالأرض مع أبنائها وتحت سيطرتهم، وما تبقى من مناطق بسيطة مقدور السيطرة عليها وفي اسرع وقت، سواء أكانت سيطرة أمنية وعسكرية، أو سيطرة شعبية وجماهيرية.. لدينا الكثير من البدائل والخيارات في الجنوب، لذا على الجنوبيين التوقف عن تقديم التنازلات المجانية مهما كانت الضغوط، فالجنوب في وضع المنتصر على جميع خصومه، علينا

إدراك ذلك نحن أولا، ثم على الإقليم والعالم التعامل معنا وفقا للمعطيات السياسية والعسكرية على الأرض.

علينا أن لا نسمح بتقديم الجنوب وثرواته ومستقبله هدية من قبل من لا يملك إلى من لا يستحق، الجنوب ليس هدفا للترضيات أو لاستجداء السلام من قبل من لا يعترف بالسلام، الجنوبيون أحق بجنوبهم وثرواته وخيراته أولا وقبل كل شيء، ولن يكون هناك استقرار في اليمن وربما في المنطقة إلا بفهم هذه المعادلة والتعاطي معها.

نحن دعاة سلام، ومع كل الحلول المنطقية والواقعية، التي لا تتجاوز التطلعات الشعبية، ومع السلام الشامل في اليمن والمنطقة، مع حل كافة القضايا العالقة هنا وهناك، ومع التقارب العربي مع إيران، إن كان سيقود إلى خدمة المنطقة وشعوبها، وتصفير الخلافات والمشكلات، وانهاء المطامع المدمرة، دعونا نرى نتائج هذا التقارب في اليمن وسوريا والعراق ولبنان، ثم نقيّم المسألة ونحكم عليها.

نعود مرة أخرى ونؤكد أننا مع السلام الشامل، ومع الحل الذي لا يلتف على القضايا الوطنية، والتطلعات الشعبية المشروعة، وعلينا أن نشكر كل من ساهم في هندسة مشروع السلام، دولا وأفرادا وجماعات، ونشد على أياديهم جميعا لجعل السلام أمرا واقعا في اليمن، جنوبا وشمالا، وقطع دابر الحروب إلى الأبد.

■ (نُشِر في موقع مركز مسارات للاستراتيجيا والإعلام)

* * *

الاقتصاد المحرك الأساسي للحياة

يقول الخبراء إن «السياسة هي اقتصاد مكثف»، ويرى آخرون أن الاقتصاد هو العمود الذي ترتكز أو تقوم عليه السياسة، ومن وجهة نظري أنه إذا طاح عمود الاقتصاد تحولت السياسة إلى حالة من الفوضى تدمر ما تبقى من مقومات الحياة ومن أخلاقها وقيمها.

وبما أن الاقتصاد هو المحرك الأساسي للحياة لدى الأفراد والمجتمعات والأمم، لذا فإن تأثر الاقتصاد سلبًا أو إصابته بحالة من المرض والتدهور، سيؤدي إلى خلق تعقيدات مختلفة أمام استمرار الحياة بشكل طبيعي، فقد يقود ذلك إلى التدهور المعيشي أو الفقر، وتوقف التنمية والاستثمار، والذي بدوره يخلق مشكلات عديدة قد تعجز الحكومات عن مواجهتها عبر سياسة الترقيع.

في مجتمعاتنا النامية توسعت دائرة السياسة وتقلصت دائرة الاقتصاد، لأن حكامنا وساستنا فهموا السياسة والاقتصاد بصورة مغلوطة، فلا السياسة أصبحت تلك الوسيلة التي تدار بها شؤون الناس وتحقق عبرها مصالحهم، ولا الاقتصاد صار المحرك الأساسي للحياة أو العمود الذي ترتكز عليه السياسة. لقد دمرت السياسة كل شيء حينما طغت المصالح الذاتية والأنانية على المصالح العليا للشعب والبلد، وأصبحت السياسة هي المعول الذي عبره تم هدم الاقتصاد وتحويل الحياة إلى ساحة صراع عدمي الغلبة فيه للأقوى والأكثر نفوذًا وتوحشًا.

الله تعالى في كثير من آيات القرآن حث على حفظ مصالح الناس وتلبية حقوقهم، وألقى بالمسؤولية على الحكام والملوك والأمراء الذين صارت إليهم رقاب الناس وتصريف شؤونهم، وحذرهم من أن للظلم عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة، وحثهم على أداء الأمانة «إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا». إذن، المسؤولية أمانة، وإدارة شؤون الناس أمانة علينا أن نؤديها كما يجب لنتقي غضب الله وسخطه.

والله أيضًا تحدث في القرآن عن الاقتصاد أكثر من حديثه عن السياسة، لما للاقتصاد من أهمية بالغة في حياة الناس والأوطان والأمم، فالسياسة بدون اقتصاد لا شيء، فهي كمثل الذي يحرث في البحر، لكن إذا أوجدنا الاقتصاد القوي والمتين، فإنه سيكون علينا بعد ذلك تصميم

شكل من السياسة التي تعمل على إدارته وتصريفه بما يخدم الصالح العام، وإقامة قواعد العدل والخير.

الأمة العربية والإسلامية لديها مقومات اقتصادية ضخمة وهائلة، سواء في اليمن أو غيرها في الخليج والمنطقة، ولكن ما ينقص هذه الموارد الضخمة هو الأمانة والإدارة الحكيمة، إذا توفر ذلك فإننا لن نجد فقيرًا عربيًا أو مسلمًا أو أي إنسان محتاج للمساعدة. علينا أن نصوب مسار الطريق الذي نسير عليه، علينا أن نصارع من أجل إرضاء الله أولًا وأخيرًا، وإقامة مشروعه في الأرض، الحياة لن تخلو من الصراع بين الخير والشر، علينا أن نصارع من أجل الخير لإسعاد شعوبنا وإسعاد أمتنا والإنسانية جمعاء، وحتى يصبح الاقتصاد في ما بعد هو المحرك الأساسي للحياة، مرتكزًا على القيم الأخلاقية والإنسانية.

■ (نُشِر في مجلة "الاستثمار")

* * *

الحل المطلوب في اليمن.. مع من يتفاوض الجنوب؟

إذا كان الحوثيون يرفضون حتى الآن كل المبادرات الخارجية والداخلية لإيقاف الحرب، وتجديد الهدنة، والذهاب إلى مفاوضات الحل النهائي، فمع من يتفاوض الجنوب؟

الوضع القائم في اليمن هو وضع منقسم سياسيا، الشمال أكثره وبنسبة ٩٠٪ بيد الحوثي، والجنوب المحرر أغلبيته أمنيا وعسكريا بيد المجلس الانتقالي والتحالف، إلا منطقة سيئون في حضرموت الصحراء فما تزال محل صراع ونزاع، بالإضافة إلى المهرة التي تسيطر عليها الحكومة الشرعية والتحالف، وهذا يعني أن وجود المجلس الرئاسي وحكومة المناصفة اللذين يديران إداريا الجنوب بالشراكة مع المجلس الانتقالي، وكذا المناطق المحررة في الشمال، وهي أجزاء من تعز ومأرب، لا يلغي من الواقع الانقسامي بين الجنوب والشمال شيئا، فكثير من الكتّاب والمحللين السياسيين اليمنيين والعرب يرون أن استقلال الجنوب عن دولة اليمن أصبح أمرا واقعا لا ينقصه سوى الإطار القانوني، وهذا ما يبحث عنه الجنوبيون عبر المفاوضات، وليس عبر التسوية أو الحوار..

المفاوضات هو المصطلح الحقيقي والواقعي الذي يصلح لحل قضية الجنوب كدولة دخلت في شراكة مع دولة أخرى، ثم فشلت الشراكة بعد ثلاث سنوات أو أربع من قيامها، أما التسوية والحوار فهما يعنيان بشكل رئيسي معالجة قضية السلطة بين أطراف الصراع، وهذا ينطبق على القوى الشمالية، الحوثيون والقوى المتواجدة في السلطة الشرعية، لأن الجنوب مشكلته ليست مع السلطة، وإنما مع الدولة بدرجة رئيسية ومنطقية، لذا من حق الجنوبيين أن يكون لهم وفد تفاوضي مستقل عن المجلس الرئاسي والحكومة الشرعية، وهذا ما نؤكد عليه، وما ينبغي أن تعمل كل المكونات والقوى السياسية الجنوبية من أجله.

أعتقد أن المعلومات الأخيرة تحدثت عن حل الدولتين أو الكنفدرالية بين الجنوب والشمال، وهو المقترح الذي طرحه خبراء عسكريون أمريكيون، وقيل إنه نوقش من قبلهم مع القيادة السعودية، وأكد عليه السفير البريطاني لدى اليمن في تصريحات إعلامية، وعدد آخر من السفراء الأجانب، وهذا يعني أن العالم بدأ يتفهم بشكل أكبر قضية الجنوب وحقيقة المشكلة في اليمن، فالجميع بات يعرف أنه لا يمكن العودة للوضع السابق في اليمن، ولا يمكن أن يتم منح الحوثيين فرصة حكم

اليمن بأكمله، لن يقبل الجنوبيون بالحوثي إطلاقا لاعتبارات عديدة، فالحوار مع الحوثي تم عبر البنادق والرصاص في الجنوب، وتم تحرير الجنوب وطرد الحوثي منه إلى غير رجعة.. لذا فإن الواقع يقول بضرورة إجراء مفاوضات بين الجنوب والشمال، وعلى الإخوة في الشمال استيعاب هذا الموضوع تماما، عليهم حل أزمة السلطة فيما بينهم ثم الاستعداد بكافة قواهم السياسية لمفاوضات مع الجنوب، هذا هو الأمر المنطقي والعقلاني، لأن الحديث عن مشاركة الجنوب ضمن وفد المجلس الرئاسي في الحوار مع الحوثي لن يكون مجديا، ولن يأتي بنتائج يقبل بها الشعب في الجنوب، وستظل المشكلة قائمة من دون حل في تقديري.

الحل يأتي من الداخل، وما تأتي من الخارج من حلول هي انعكاس لمطالب الداخل، فالشعب في الجنوب صامد على مطالبه وسقفه السياسي المرتفع، ولم تفلح كل الاستفزازات والممارسات التي تقوم بها الحكومة وغيرها على تركيعه وجعله يقبل بشروط الآخرين أو يعدل من سقف مطالبه.

الشمال هو الأكثر تشتتا، والحوثي يريد حوارا وتسوية بشروطه، لذا على الأمم المتحدة والوسطاء العرب والدوليين أن يلموا شتات القوى السياسية في الشمال أولا، بالضغط على الحوثي للقبول بالتسوية مع القوى الشمالية الأخرى، أو دعم استمرار الحرب لتحرير صنعاء، وهذا أمر بات في حكم المستحيل بسبب تداخل الحسابات الإقليمية والدولية، لذا فالجنوب أصبح أكثر استعدادا وتماسكا لتشكيل وفده التفاوضي المستقل عن القوى الشمالية في المجلس الرئاسي والحكومة، وهو إلى الآن لم يجد - أي الجنوب - طرفا شماليا موحدا للتفاوض معه، وهذا يعقد المشكلة ويفاقم حالة الانقسام والمعاناة الإنسانية والمعيشية بين أوساط السكان.

لن تستطيع أي قوة خارجية أو غيرها إجبار الشعب في الجنوب للقبول بحلول منقوصة أو مشروطة مهما كان حجم التآمر أو الالتفاف أو الضغوط التي تمارس عليه، سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو غيرها، وأي حل لا يأخذ في الاعتبار مسألة التفاوض على أساس الدولتين، هو حل فاشل ولن يكتب له النجاح مطلقا.

■ (نُشِر في موقع «عدن تايم»)

* * *

العسكرة قبل التعليم.. من مشروع الحياة إلى مشروع الموت

كان التعليم بكافة مستوياته شرطا أساسيا فيما مضى للالتحاق بالجندية أو العسكرة في الجيش والأمن، أما اليوم فقد أصبح الأمر مختلفا، حيث أصبحت العسكرة قبل التعليم أو بديلا عنه، إن جاز التعبير.

يذهب الكثير من شبابنا اليوم للالتحاق بالعسكرة في الوحدات والألوية المختلفة على طول البلاد وعرضها، تاركين التعليم خلفهم، لأن التعليم في نظرهم لم يعد ينفع ما دامت العسكرة توفر لهم المرتب الذي يفوق راتب المعلم أو الموظف المدني أو الدكتور في الجامعة.

شكا لي منذ أيام أحد الأساتذة في كلية من كليات جامعة عدن بأنه لم يعد هناك طلاب من الذكور يلتحقون بالتعليم الجامعي، وأن المساق الذي يدرسه أصبح محصورا على الإناث فقط، مشيرا بحرقة إلى أن العسكرة أخذت الشباب إلى الجبهات بصورة تهدد مستقبل البلد، كما قال.

مشروع الموت هو الرابح من الحرب، أما مشروع التعليم فإنه في تراجع مخيف جدا، وما يحدث من إضرابات وتعطيل للتعليم في الجنوب يسير بهذا الاتجاه المدمر، دون أن تكلف الحكومة نفسها القيام بأية معالجات تذكر، وهي قادرة لو أرادت.

نعم مشروع الموت، حيث يذهب الشباب ضحايا للحرب الملعونة، شباب يزج بهم للجبهات وخطوط المواجهات دون تدريب وتأهيل، الأمر الذي يجعلهم صيدا سهلا للقتل، يتربح منه القادة والمشرفون.

الألف الريال السعودي أصاب الشباب بالجنون، ودفع بهم للالتحاق بالعسكرة بصورة كبيرة وخطيرة، ليتحولوا إلى مشاريع موت، تستثمرها جهات عديدة للوصول للثراء وتحقيق النفوذ.

التضحية من أجل البلد والدفاع عنه في مواجهة الخصوم والأعداء شيء جميل ونشجع عليه، ولكن يفترض أن لا يتم الدفع بالشباب في هكذا معارك من دون تعليمهم كيفية استخدام السلاح على الأقل.

في قريتي «شعب» بطور الباجة التي كانت مضربا للمثل في التعليم

علـى مسـتوى الجنـوب، أصبـح المئـات مـن شـبابها يتواجـدون اليـوم في الجبهـات والمعسـكرات المختلفـة، وهـؤلاء لم يكملـوا تعليمهـم الجامعـي أو الثانـوي عـلى أقـل تقديـر، وفي القـادم سـيلتحق بهـم آخـرون وهكـذا.

العسـكرة أولا وليـس التعليـم، هـذا هـو شـعار شـبابنا اليـوم، وقـد يـأتي يـوم لا نجـد الشـباب الذكـور في المـدارس والجامعـات إذا اسـتمر مـشروع الحـرب والمـوت.

لـن يتطـور البلـد إلا بالتعليـم، وهنـاك تجـارب عديـدة لـدول علينـا أن نسـتفيد منهـا، لكـن في ظل الوضـع الحـالي فـإن التعليـم سـيبقى في أسـفل القائمـة، لأنـه لا توجـد مـؤشرات تؤكـد أن هنـاك تغيـيرا أو تطـورا سـيتم في ظـل الارتهـان والعجـز والفشـل الذيـن يسـودون أداء السـلطات جميعهـا.

التعليـم هـو مـشروع حيـاة، ولكـن للأسـف تـم اسـتبداله بمـشروع المـوت، فـكل يـوم يذهـب شـبابنا وهـم في عمـر الزهـور ضحايـا لحـرب ملعونـة، لا تنتهـي إلا وتبـدأ مـن جديـد.

■ (نُشِر بموقع مركز مسارات للاستراتيجيا والإعلام)

* * *

العدالة وحفظ حياة الناس

إن انتشار الجريمة والإرهاب في المدن والمجتمعات ليس سببه ضعف الأمن وهوان السلطات في معظم الحالات، وإنما السبب الرئيسي هو التساهل في عدم إنزال العقوبة بالمجرمين والقتلة والإرهابيين، وعدم تطبيق العدالة.

إن عدم تنفيذ القصاص بحق المجرمين والإرهابيين يشجع على المزيد من الإرهاب والإجرام، ولنا أن نشاهد اليوم ماذا يحدث في بلادنا من ازدياد الجريمة وتفشي الإرهاب بصورة كبيرة وخطيرة تجعله يضرب وسط المدن الكبيرة والمزدحمة دون أن يبالي أو أن يخشى.

قال الله تعالى «ولكم في القصاص حياة «، ومدلول ذلك أنه لن تستطيع حماية أرواح وحياة الناس إلا بالقصاص من المجرمين، ليكون ذلك الرادع لهم ولغيرهم من ممارسة الجريمة، وبالتالي تستطيع صون أمن المجتمع وتحافظ على حياة الناس.

لقد تفشت الجريمة منذ سنوات في مجتمعنا، وبالتحديد في المدن الكبيرة والمزدحمة، وهي ما بين اغتيالات بالسلاح أو المفخخات أو جرائم الاغتصاب للأطفال أو السرقات والتخريب وغيرها من الجرائم التي إذا تساهلنا مع مرتكبيها ولم نقدمهم للعدالة لينالوا جزاءهم الرادع، فإننا سنجد مجتمعنا يغرق رويدا رويدا في الفوضى، وسيصعب بعد ذلك السيطرة على الأوضاع والأمور.

لقد تحدثت أجهزة الأمن طويلا بأنها قامت باعتقال منفذي الجرائم الإرهابية وغيرها ووضعهم رهن الاعتقال، ومنذ سنوات لم نرَ شيئا، لم نرَ تقديم المجرمين للمحاكم أو النيابات، لم نرَ قصاصا أو تنفيذ أحكام فيهم.. بل إن عددا من المجرمين يفرون من السجون، والبعض يتم إطلاقهم بضمانات، وهكذا يتم تمييع القضايا والالتفاف على العدالة في مدن هي أول من عرف العدالة في المنطقة والعالم.

بدون العدالة لن نستطيع بناء مجتمع قوي ومزدهر وآمن، فالعدالة شرط للقوة والحظوة والرفعة، فقد قال الأمام ابن القيم، رحمه الله «إن الله يرفع الأمة العادلة وإن كانت كافرة، ويضع الأمة غير العادلة وإن كانت مسلمة».

إذن ما الفائدة من الإسلام بدون عدالة؟! ما الفائدة من الإيمان بدون

عدالـة؟! ولنـا أن ننظـر لحالنـا اليـوم وحـال أوطاننـا لنعـرف قيمـة العدالـة في حيـاة الأمـم والشـعوب التـي قطعـت شـوطا في التطـور والرخـاء والرفعـة، لأنهـا قدسـت العدالـة وعملـت بهـا.

إذن، بـدون تطبيـق العدالة في حـق المجرمـين والقتلـة يـؤدي إلى انتشـار الجريمـة بصـورة أكـبر في المجتمـع، ويخلـق مجرمين جـدد ينفـذون جرائمهم بأمـان، وهـم يعلمـون أنـه لـن يحاسـبهم أحـد، ولـن تُجـز رقابهـم، ولـن ينـزل بهـم القصـاص الـذي أمـر بـه اللـه تعـالى، وهـذا يقـود المجتمعـات للفـوضى والتخبـط وعـدم الاسـتقرار الـذي يعيـق عمليـة التغيـير والنمـو فيهـا.

وغيـاب العدالـة في الحكـم والإدارة هـو الآخـر منتـج للجريمـة بأشـكالها المختلفـة، بسـبب شـعور بعـض الفئـات بالتهميـش والإقصـاء والاسـتبعاد، وهـذا بحـد ذاتـه يقـود أيضـا إلى الاضطرابـات السياسـية والاجتماعيـة والانتفاضـات والثـورات.

كـم مـن الجرائـم حدثـت وتحـدث وبصـورة يوميـة هنـا وهنـاك، يجـري التعامـل معهـا بصـورة سـلبية فاقـدة للخـبرة والالتـزام الوظيفـي والأخلاقـي، فيتـم تمييعهـا أو تفتيتهـا داخـل أجهـزة الأمـن قبـل وصولهـا للنيابـات والمحاكـم، ولعـدم وجـود التنسـيق والترابـط بـين أجهـزة الأمـن والمنظومـة العدليـة فـإن الجرائـم والقضايـا الجسـيمة تمـوت وتتـلاشى دون تطبيـق العدالـة بحـق مرتكبيهـا، وهـذا مـا حـدث ويحـدث وبصـورة متكـررة ودائمـة منـذ ثمـان سـنوات أو سـبع خلـت.

عـلى السـلطات الحاكمـة - رسـمية وغـير رسـمية - تحمـل مسـؤوليتها الأخلاقيـة إزاء مـا يحـدث مـن تفريـط في تطبيـق العدالـة بحـق المجرمـين والإرهابيـين والقتلـة، وعليهـا ضبـط بوصلـة عملهـا وتحسـين أدائهـا في هـذا الملـف الهـام، وإعـادة تنشـيط علاقـة الأمـن مـع أجهـزة العدالـة لرفـع الظلـم عـن المظلومـين، وتطبيـق النظـام والقانـون عـلى الجميـع، ومحـاصرة الجريمـة والقضـاء عليهـا قبـل أن يقـضي المجرمـون والقتلـة عـلى الحيـاة والأمـن والاسـتقرار.

وعـلى أجهـزة الأمـن أن لا تسـتبق الأمـور، وعليهـا تقديـم المتهمـين والمجرمين للعدالـة، وهـي التـي يفـترض أن تقـرر مـن المجـرم ومـن البريء.

■ (نُشِر بموقع مركز مسارات للاستراتيجيا والإعلام)

*   *   *

ما بين التسوية والهيمنة

يتحدث كثير من سفراء ووزراء الدول الراعية ودول المجتمع الدولي، بأن التسوية السياسية في اليمن هي الحل الوحيد لمعالجة الأزمة التي يعيشها البلد منذ نحو تسع سنوات، وكان آخر المتحدثين هو اللورد طارق أحمد الوزير البريطاني لشؤون الشرق الأوسط، والذي قال إن التسوية السياسية هي السبيل الوحيد لتحقيق الاستقرار على المدى الطويل في اليمن، ومعالجة الأزمة الإنسانية، بحسب ما نقل عنه موقع «عدن تايم» الإخباري.

لكن في الواقع يبدو أن جماعة الحوثي لا تريد أن تفهم مثل هذه الإشارات، ولم تسلم حتى الآن بكل الجهود الدولية والإقليمية لتحقيق السلام والذهاب لمفاوضات ندية لحل الملف السياسي، إذ نفاجأ كل يوم بتحركات جديدة من قبل الجماعة على الأرض لتوسيع رقعة الحرب، ومفاقمة سوء الأوضاع الناتجة عنها.. فخلال الأيام الماضية عززت قواتها بشكل كبير على الحدود مع الجنوب، كما قامت بنصب قواعد صواريخ باليستية في الحدود مع جبهة كرش بمحافظة لحج، في مسعى يكشف أن الجماعة لا تريد تسوية سياسية مع الجنوب، ولا مع المجلس الرئاسي، ولا تريد سلاما، وأن كل ما تريده هو الاستمرار في الحرب، في محاولة لفرض أمر واقع جديد على الأرض، لاسيما في الجنوب، يحقق نزعة الهيمنة التي جبلت عليها قوى الهضبة الشمالية في التعامل مع الجنوب.

هذا التصعيد الحوثي المستمر دون توقف قابلته تحركات جنوبية خلال الأيام الماضية لتعزيز القوات المسلحة الجنوبية ووضعها على أهبة الاستعداد والتأهب لأي هجوم مضاد أو تحرك باتجاه المناطق الجنوبية المحادة للشمال، وهذا ما خلص إليه اجتماع عقده نائب رئيس المجلس الانتقالي اللواء أحمد سعيد بن بريك مع القيادات الأمنية والعسكرية الجنوبية خلال الأيام الماضية.

إن ما يحدث يبدو أنه في الأساس حالة من التخادم بين أطراف شمالية عدة، طرف يعمل على إضعاف الجنوب من الداخل من خلال افتعال أزمة الخدمات وأزمة العملة وتصفير البنك المركزي، لإثارة حالة من الاضطرابات والفوضى في عدن، وطرف آخر يحشد على الحدود

الجنوبية في ما يشبه تسعير حرب جديدة ضد الجنوب، في محاولة لاحتلاله بالقوة العسكرية بدلا من الذهاب إلى تسوية سياسية يطالب بها ويدعمها كل العالم.

من هنا يتأكد لنا أن معظم القوى الشمالية ليست مع التسوية السياسية وحل ملف الجنوب سلميا، وإنما مع استمرار محاولة تركيع الجنوب والهيمنة عليه من جديد. ولنا أن نتوقف أيضا أمام حالة النزوح المهول والمستمر للسكان من الشمال إلى عدن وباقي مدن الجنوب، والذي لم يتوقف منذ تسع سنوات، وبدون تنظيم وترتيب وفلترة، وهو في الواقع ما يجعل كثيرين يشككون في أن المسألة قد تكون ليست كلها بدوافع إنسانية بحتة، بقدر ما هو عمل مدروس ومنظم وبدوافع كثيرة، ومن غير المستبعد أن يكون للحوثي يد فيه، وهذا بدوره يضع الأجهزة المختصة أمام مسؤوليات كبيرة، للقيام بمهامها ودورها للحفاظ على سلامة الناس وسلامة المجتمع، والحفاظ على أمن الدولة قبل كل شيء.

هذا التحشيد والحشود باتجاه الجنوب يجعل الحديث عن الوحدة مفروغا من مضمونه، مادامت العوامل التي ترتكز عليها قوى الشمال ليست قائمة على حسن النوايا، وعلى تصحيح أخطاء الماضي التي وقعت فيها، وإنما إعادة إنتاج الماضي بصورة أبشع مما كان، والمؤشرات كثيرة.

ومن هنا أعتقد أن الجنوبيين سوف يدفعهم ذلك للاستمرار أكثر في خطواتهم السياسية لاستعادة دولتهم بكل الوسائل والطرق، وتولي إدارة شؤون الدولة من الآن بأنفسهم لسد جميع الثغرات التي يمكن أن تضعف تماسك الجبهة الداخلية للجنوب في مواجهة هذا التحشيد الحوثي، في مقابل فشل الحكومة الشرعية في إصلاح الأوضاع المتردية، والتي تقود إلى إضعاف الجنوب من الداخل عبر ورقة الاقتصاد والخدمات والعملة وغيرها، وهو ما يجعله مهددا بالسقوط مجددا في براثن قوى الهيمنة التي تكفر بالدولة والشراكة الوطنية.

ومن خلال هذه المعطيات، فإنه ينبغي على العالم أن ينظر لما يحدث بواقعية وإنصاف، فلا مؤشرات إيجابية تدل على التسوية من دون ضغط دولي مكثف وقوي، وإنما هناك مؤشرات كثيرة تدل على المحاولات القائمة على استهداف الجنوب والهيمنة عليه من جديد،

وهـذا بـدوره سـيقود البلـد إلى حـرب جديـدة لا سـمح اللـه، لأن الجنـوب في الواقـع لـن يظـل مكتـوف الأيـدي، فهـو مسـتعد لـكل الاحتـمالات، وإفشـال كل المؤامـرات التـي تطبـخ هنـا وهنـاك.

■ (نُشِر بموقع مركز مسارات للاستراتيجيا والإعلام)

* * *

لا دولة بدون قوانين وأجهزة رقابة

عدم وجود القوانين التي تنظم حياة الناس وتعاملاتهم اليومية وعلاقاتهم بالدولة وببعضهم البعض، يتحول الأمر إلى فوضى ويفتح الباب أمام اجتهادات كثيرة تأتي من خارج الدولة، أكانت طائفية أم قبلية، تخل بمضمون الدولة وتعيقها عن تحقيق العدالة والمواطنة والمساواة، وتلغي وظائف الدولة لصالح وظيفة السيد أو الشيخ أو العكفي.

وبالنظر إلى عدم تطبيق القوانيين في تعاملات الدولة ومؤسساتها المختلفة في إدارة شؤون الناس، والقيام بوظائفها المطلوبة، وهو السائد هذه الأيام ومنذ سنوات خلت، فإن ذلك يشجع المسؤول والموظف على التمرد والتفرعن والفساد، لأن تطبيق القوانين يمثل رادعا من القيام بذلك، إذا ساءت الأخلاق، أو ضعفت الرقابة الذاتية، وعدم تطبيقها يشجع على الفجور والمعصية والخراب.

وأما غياب أو تغييب أجهزة الرقابة في الدولة ومؤسساتها، هو الآخر طامة كبرى يخلق سلطة متحللة من كل الالتزامات والمسؤوليات الأخلاقية تجاه الناس والبلد، ويحول الدولة ومواردها إلى مرتع للفساد الفاضح غير المحتشم، في ظل انعدام الشعور برقابة الله والمجتمع.

لماذا يوجد لدينا جهاز مركزي للرقابة والمحاسبة غير مفعل؟ ولماذا توجد لدينا هيئة عليا لمكافحة الفساد غير مفعلة أيضا؟ الجميع في الرئاسة والحكومة والأحزاب متفقون - كما يبدو - على عدم تفعيل الأجهزة الرقابية، حتى يتمكنوا من السرقة والفساد بكل أريحية، على اعتبار أن المرحلة هي مرحلة مؤقتة وانتقالية ينبغي الاستفادة منها بدرجة قصوى في مراكمة الأموال والأرصدة البنكية والمشروعات الاستثمارية في الداخل والخارج.

لقد أخطأ رئيس الوزراء الأسبق عبدالقادر باجمال، رحمة الله عليه، حينما قال إن الذي لن يغتني في أيام صالح لن يغتني أبدا، فها هو قد ذهب صالح بسيئاته وحسناته ومازال للفساد صولات وجولات، بل إن المسؤول الذي كان يغتني في أيام صالح في خمس أو عشر سنوات يمكن أن يغتني اليوم في ظرف أشهر ولا عجب. منذ ما بعد ٢٠١٢ وحتى اليوم أصبح الفساد والثراء أمرا سهلا بمجرد أن تكون وزيرا

أو مسـؤولا مقربا مـن الرئيـس أو أولاده أو رئيـس الحكومـة أو القائـد العسـكري، ويمكـن أن يصبـح الموظـف العـادي أو الجنـدي ثريـا أيضـا في ظـرف أشـهر أو سـنوات، في ظـل غيـاب تطبيـق القوانـين وتفعيـل أجهـزة الرقابـة، حيـث أصبـح الـكل يـسرق ويجبـي الأمـوال إلى حسـابه الخـاص، دون حسـيب أو رقيـب، وكل ذلـك يراكـم الأعبـاء عـلى ظهـر المواطن المسـكين، ويحيـل الدولـة ومؤسسـاتها إلى شريعـة غـاب، في مقدمـة صريحـة تسـبق السـقوط والانهيـار الوشـيك.

الفسـاد منتـج للفـوضى، ويعطـل وظائـف الدولـة الأخـرى سـواء أكانـت الخدميـة أو الأمنيـة أو المدنيـة أو غيرهـا، وعـدم وجـود دور أجهـزة الرقابـة الوطنيـة الحقيقيـة، وتطبيـق القوانيـين عـلى الجميـع، يجعـل الدولـة تتـآكل رويـدا رويـدا في حيـاة النـاس وتتـلاشى، ويبقـي ذلـك عـلى سـلطة مجـردة مـن القيـم، هـي عبـارة عـن عصابـة تتقاسـم المنهوبـات والمسروقـات أمـام النـاس دون خجـل أو حيـاء مـن أحـد، بينـما الشـعب يمـوت جوعـا ويهـدد وجوديـا، مـع ذلـك عـلى النـاس أن لاتيـأس، فالأمـل مـا يـزال قائـم لإفشـال المخططـات الخارجيـة التـي تسـتهدف البلـد، والانتصـار في معركتنـا الجمعيـة ضـد الفسـاد والمفسـدين.

■ (من صفحة المؤلف على فيسبوك)

* * *

الفساد الحاكم

بدل النظام الحاكم يحق لنا أن نقول اليوم الفساد الحاكم، لان المتحكم بمصير البلد والناس هو الفساد الذي انتشر في البر والبحر بما كسبت ايدي الحكام والمسؤولين وعامة الناس إلا من رحم.

الفاسد أو المكلف من الخارج بالفساد والافساد يسعى إلى إفساد الجميع من حوله، في السلطة أو المؤسسة أو الوزارة أو في المجتمع، حتى لا يبقى إنسانا نظيفا وصالحا بإمكانه أن ينتقد أو يرفض أو يثور.

إن تحويل الفساد إلى ثقافة تحكم وتسيطر على حياة الناس قد بدأتها الأنظمة المستبدة السابقة، التي قامت عليها الثورات، ولأن الثورات لم تكتمل واكتفت بإزاحة رؤوس الاستبداد من الحكام فقط وتركت بقية الجسد بأكمله، فإن هذا الجسد المكون من النظام الفاسد وتفرعاته من مؤسسات وأحزاب ومنظمات وجهات مجتمعية ومدنية وجماعات مصالح، قد أعاد بناء نفسه من جديد في صورة الشراكة السياسية، كما أعاد إنتاج راس جديد له بمساعدة الخارج غير معرض للمسألة أو للقانون بسبب غياب فاعلية المؤسسات الرقابية والعدلية،و بسبب غياب المعارضة الوطنية في الشارع التي بإمكانها أن تعترض أو تنظم حركة الناس الرافضة للفساد والدمار الذي يعانيه البلد كما كان يحدث في السابق.

لكن هذا الوضع لن يستمر طويلا في ظل استمرار ممارسة الضغوطات المذلة والمهينة على الشعب عبر الخدمات والاقتصاد والحروب والفوضى من قبل من يتحكمون بمصير البلد من الخارج، فلابد من يوم يستجيب القدر لدعاء المعذبين والمظلومين والمنهكين في هذا البلد المتآمر عليه، ويعاود الشعب الكره من جديد بصورة أكثر تنظيما وترتيبا وفائدة.

ثار الناس على الفساد الذي هو منتج للاستبداد ولكل الشرور الكبيرة والصغيرة، وقدموا تضحيات عظيمة أملا في مستقبل افضل، ليأتي فساد اكبر واخطر محصن ومحمي من دول وجهات خارجية، ازعجتها ثورات الشعوب ومطالبها بالاصلاح والتغيير والتحرير، فأرادوا الانتقام بأن جعلوا الفساد هو الحاكم والمتحكم المطلق بالشعب، وتعهدوه بالرعاية والحماية إلى أجل مسمى، ولكل اجل كتاب.

لا يمكــن الخــلاص مــن ثقافــة الفســاد التــي أنتجــت الخنــوع والخــوف والاستســلام والقبــول بالظلــم والتعايــش معــه، الا بالعــودة الحقيقيــة إلى اللــه، اللــه وحــده القــادر عــلى تحريــر العقــول والنفــوس مــن كل الــشرور والطاقــات الســلبية التــي عطلــت التفكــير الايجــابي، واســلمت العقــل للشــائعات والأكاذيــب، وقيــدت الجســد مــن الحركــة في الاتجــاه الصحيــح والمفيــد.

ومــن دون شــك فــإن الحــرب قائمــة وموجهــة عــلى الجميــع، ســواء كان الشــعب وهــو المســتهدف الاول مــما يحــدث، أو الرمــوز والقيــادات الشــابه النظيفــة والوطنيــة، أو الدعــاة والمصلحــون، وغيرهــم مــن الإيجابــين والمؤثريــن والقــدوات، لكــن علينــا أن لا نستســلم، وان نقــاوم بــكل الوســائل المتاحــة والممكنــة، فالأمــل مــا يــزال موجــود بــاذن اللــه بإســقاط الفســاد الحاكم،واحــداث التغيــير، وإقامــة العــدل، ونــشر الخــير، وإعــادة البنــاء الســليم مــن جديــد للإنســان والمجتمــع والامــة.

■ (من صفحة المؤلف على فيسبوك)

* * *

تم ولله الحمد...

للتواصل مع المؤلف

(+967)
776219312-736999007

b.shabi10@gmail.com

www.masaratcsm.org
(الموقع الإلكتروني لمركز مسارات)

حقوق الطبع محفوظة لمركز مسارات للإستراتيجيا والإعلام

حياتي في قلب الحدث

منذ ثلاثة عقود، مرت أحداث كثيرة كانت القضية الجنوبية في صدارة هذه الأحداث، القضية التي وُلِدت اثر حرب صيف 94 المشؤومة، استطاعت أن تصنع الحدث وتغير مساره في اليمن ككل لتضع الجنوب اليوم أمام متغير جديد وحاسم، يقدم هذا الكتاب عبر فصوله الثلاثة ما يشبه السيرة الذاتية لمؤلفه في قلب الحدث، وسيرة مركزة للأحداث التي مرت بها البلد في عمق تجربة ثرية ومهمة جديرة بالقراءة والاطلاع.

يتناول الفصل الأول (الصحافة والثورة)، تجربة الاتساق بين ميلاد الحلم ومسيرة الثورة، وتجربة الصحافة والمنعطفات التي مرت بها الثورة حتى تحققت، وكيف مثلت الثورة في الجنوب حالة الهام لثورات أخرى.

فيما يتناول الفصل الثاني (سنوات الحرب الصعبة) المرحلة ما بين 2015 وحتى 2023 بداية الحرب الثانية على الجنوب،وعملية التحرير، والسنوات الصعبة التي أعقبتها، وكيف أصبح الحراك مشاركا وشريكا في السلطة، والتأثير الذي أوجده تأسيس المجلس الانتقالي في مسار الأحداث، والمستوى الذي بلغت إليه القضية الجنوبية اليوم في الانتقال من الثورة إلى الدولة.

فيما يقدم الفصل الثالث (مقالات مختارة) عدد من المقالات السياسية والفكرية التي كتبها المؤلف ما بين الأعوام 2021-2023، يناقش فيها عدداً من القضايا المهمة أبرزها قضية الحرية والاستبداد، والتغيير والتحرير، وقضية إدارة الدولة، وغيرها.

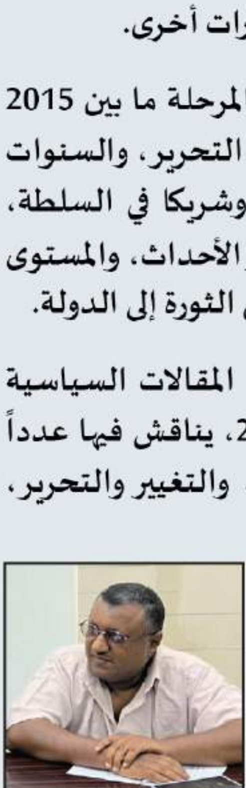

باسم فضل الشعبي

الطبعة الأولى